# شقوق الزمن

شقوق الزمن

إبراهيم السعيد

تصميم الغلاف : محمد عيد

رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٧٩٧٦

I.S.B.N: ٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٢٣٧- ١

دار اكتب للنشر والتوزيع

OKTOB.NET

الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة.

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

E – mail :daroktob١@yahoo.com

Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م

# شقوق الزمن

---

## إبراهيم السعيد

رواية




دار اكتب للنشر والتوزيع



– اقسم لي أنك ستفعل الأمر الصحيح دائما ..

– اقسم أن أفعل الأمر الصحيح دائما !

– مهما تكلف الأمر..

– مهما تكلف الأمر..



## ١

الساعة الخامسة مساءً

كلية العلوم جامعة (...)، معمل الكيمياء العضوية

المعمل عبارة عن قاعة واسعة مستطيلة الشكل، في الطابق الرابع من مبنى الكلية، جدرانها بنية اللون، مقسمة إلى قطاعات عرضية بواسطة عدد من المناضد الخشبية الطويلة المثبتة في الأرض، يقسم كل منضدة حاجز خشبي إلى نصفين، وهناك قاعدة خشبية موضوعة فوق الحاجز، وفوقها زجاجات تحوي المواد الكيميائية المستخدمة في المعمل. وعند طرفي كل منضدة، يوجد جهاز لتسخين المياه بالكهرباء، لعمل الأحواض المائية. كما يوجد فوهتان للهب، من أجل التسخين .

وفي جانب المعمل، يوجد دولاب زجاجي، يحتوى على المواد الكيميائية المركزة، متصل بمدخنة لطرد أبخرتها الخطرة للخارج .

وفي نهاية المعمل الدكتور علام منهمكا في إجراء تجربة، ومعه جمال –أحد المعيدين بالكلية– لمساعدته.

الدكتور علام في الخمسين من عمره، جرت معاول الدهر على وجهه فتركت أثارها واضحة، ثم صعدت إلى رأسه فأزالت شعره تماما، إلا بقايا قليلة على الجانبين. بينما جمال شاب في السابعة والعشرين من عمره، وجهه يمت للوسامة بصلة وثيقة، ويضع فمه في دائرة صغيرة من الشعر زادته وسامة.

التقط الدكتور علام أنبوبة اختبار تحوي سائلاً أحمر اللون من الحامل الموضوع أمامه، وأمسكه بيده اليمنى، ثم التقط أخرى تحوي سائلًا شفافًا، وقرب فوهتها من فوهة الأولى قائلا:

- والآن سنضع محتويات الأنبوبة الثانية على الأنبوبة الأولى.

قرن القول بالفعل، ثم وضع الأنبوبة الفارغة في الحامل أمامه، وأمسك الأنبوبة الأخرى من أسفل فوهتها بقليل، مكملا:

- ونقوم برجها لمدة دقيقة ونصف، ونلاحظ تغير اللون.

أدار جمال وجهه للناحية الأخرى، متظاهرا أنه يحضر زجاجة أخرى، ثم زفر في ضيق شديد. إنه يشعر أن هناك أسود جائعة محبوسة داخل صدره، تتمنى أن تخرج إلى علام فتمزقه. لقد أجرى تلك التجربة عشرات المرات من قبل، ويعرفها جيدا؛ ولكن علام مصمم على إعادته شرحها له ثانية في هذا الوقت المتأخر .

هكذا علام دائما يتشاجر مع زوجته، فيخترع أي سبب حتى لا يعود لمنزله، ويجر معه ضحية أخرى-لأنه يكره البقاء وحيدا- كل ما تحلم به هو العودة للمنزل والاستلقاء على السرير بعد يوم عمل

مرهق. ولكن علام هو المشرف على رسالته، لذلك لا يمكنه أن يخالف له حلما .

قاطع علام أفكاره:

– لاحظ تغير اللون من الأحمر إلى الأزرق.. والآن سنضيف خمس قطر ..

وبتر عبارته، عندما سمع صوت أزيز غريب يصدر من أحد الأركان، فقال:

– ما هذا؟

لم يكن جمال يسمع شيئا، فقال:

– ماذا هناك؟

– هذا الصوت الغريب!.. ألا تسمعه؟!

أنصت جمال السمع جيدا، ولكنه لم يسمع شيئا، فصمت ولم يجب، فسأله علام ثانية:

– ألا تسمعه؟

تردد جمال للحظات، ثم قال بلهجة متقطعة:

– لا.. أسمع شيئا!

كان الصوت قد اختفي بسرعة، ففكر علام أنه ربما كان يتوهم هذه المرة. ولكنه أبي الاعتراف بذلك، فأكمل كأن شيئا لم يحدث:

- والآن نضيف خمس قطرات من حمض الكبريتيك المركز إلى المحلول .

وتمنى جمال في تلك اللحظة لو يضيف زجاجة الحمض المركزة كلها إلى صلعته ويرى النتيجة.. ستكون مبهجة بحق !

أضاف علام القطرات، ثم وقف يرج الأنبوبة، حين عاد الأزيز بدويٍ أشد من المرة السابقة، فصاح علام:

- لا تقل لي إنك لا تسمعه هذه المرة أيضا!

لم يكن جمال يسمع شيئا، ولكنه قال اتقاء لغضب علام:

- ربما هو صوت حشرة أو..

قاطعه علام مشيرا نحو أحد الأركان قائلا:

- اذهب وانظر ما هذا !

تحرك جمال نحو المكان الذي أشار له علام، بينما وقف علام ينتظر. والحق، أنه كان ينتفض في داخله، فليست هذه أول مرة يسمع هذا الأزيز الغامض، فالأمر يتكرر بكثرة منذ أسبوعين، يرى أشياء غريبة، ويسمع أصواتًا لا يسمعها أحد غيره.

تشاجر مع زوجته أكثر من مرة.. أخبرها أنها ترى ما يراه وتسمع ما يسمعه ولكنها كاذبة لعينة، فنعتته بالجنون غريب الأطوار. ولذلك، فهو لا يحب العودة للمنزل إلا متأخرا، ليقضي أقل وقت ممكن معها. ولكـــ...

ارتفع صوت جمال ليقطع أفكاره:

- لا شيء هنا.

- هل أنت متأكد؟

كان جمال متأكدا، ولكنه انحنى ينظر للأرض للحظات ليرضيه، ثم اعتدل قائلا:

- نعم متأكد.. لا شيء هنا .

لم يجبه علام، فعاد ووقف بجواره منتظرا ما سيقوله.. فكر علام أن ربما كان الأمر هلاوس بالفعل، كما أخبره صديقه الطبيب النفسي، وكل ما عليه فعله أن يتجاهلها، حتى لا تسيطر عليه .

جذب نفسا عميقا، ثم أغمض عينيه وهمس لنفسه:

- لا شيء هنا.. لا شيء هنا.

أمسك بالأنبوبة، واتجه نحو طرف المنضدة قائلا:

- والآن سنضعها في حمام مائي لمدة سبع دقائق .

وقف الاثنان ينتظران، ورأساهما تموج بالأفكار.. علام خائف مرتعب تأكله الهواجس، وجمال يفكر في الوسيلة المثلى لقتله دون ترك أثر .

وهنا دوى الأزيز بصوت أشد من المرتين السابقتين، وسمعه جمال هذه المرة فصاح:

- ما هذا؟

مزج علام الخوف بالدهشة باللهفة قائلا:

- أنت تسمعه؟

- نعم انه يبدو مثل...

وقطع عبارته، ثم اتجه نحو الركن الذي يصدر منه الصوت، ووقف يفتشه بعينيه.. لا شيء!.. أنصت السمع.. الصوت يبدو قادما من داخل الحائط!.. طرقه بظهر يده طرقات خفيفة، ثم قال

- يبدو أن هناك حشرات محبوسة داخل الحائط، ولكن كيف دخلت؟

تراجع جمال للخلف في ذعر، عندما ظهرت نقاطًا سوداء صغيرة، غطت الحائط بأكمله، ثم بدأت في النمو بسرعة، حتى أصبحت في حجم العملات المعدنية .

صرخ جمال:

- ما هذا؟

وصمت لحظة، ثم أكمل وقد حسم أمره:

- أنا خارج من هنا.

ودون أن ينتظر رد علام، الذي وقف يحدق مذهولا في البقع السوداء، كأنه منوم مغناطيسيا، أسرع نحو الباب. ولكنه فوجئ بالباب يصفق في عنف.. حاول فتحه؛ ولكن دون فائدة.. لقد أصبح كجزء من الجدار!

ومن داخل النقط السوداء، بدأت رؤوس حشرات غريبة المنظر في الظهور، ثم خرجت بأكملها للخارج، فشهق جمال، وكاد عقله يطير من شدة الفزع .

كانت في حجم الزنابير أو أضخم قليلا، ولها جسد يشبهها، ولكن رأسها كان ضخما، يشبه رأس البشر.. وعيونها حمراء كالدم، وفمها متسع. وسرعان ما ملأت أغلب فراغ المعمل، وهي تطلق الأزيز المرعب.

طرق جمال الباب صارخا:

- النجدة.. ساعدونا.. النجدة!

بينما علام يحدق فيها مأخوذًا متمتما:

- إنهم قادمون من أجلي.. إنهم قادمين مــ...

حلقت الحشرات نحوه، فصرخ جمال:

- علام..احذر!

وكأنما أيقظته تلك الصيحة، فراح يصرخ في ذعر، ويعدو باحثا عن مكان للاختباء، والحشرات تلاحقه مصطدمة بمحتويات المعمل، محطمة إياها .

وامتزجت ضربات العاملين على الباب في الخارج، محاولين كسره وصيحاتهم-بعد أن جذبهم الصراخ- مع صرخات علام وجمال، وأزيز الحشرات في الداخل، لتصنع سيمفونية مجسمة للرعب .

أخذ علام يضرب الهواء بذراعيه، محاولا إبعاد الحشرات عنه بلا فائدة، ثم أخذ يضرب جسده ليبعد الحشرات، التي راحت تعضه في مختلف أنحاء جسده. وأسرع جمال نحوه محاولا مساعدته في إبعادها، ولكن مجموعة منها هاجمته، وبدأت تعضه، فتراجع صارخا مذعورا والدماء تسيل منه. وأحاطت الحشرات بعلام حتى غطته تماما، ثم بدأت في الارتفاع حاملة إياه معها .

وكمحاولة أخيرة لإنقاذه-ظنها كذلك عقله المشوش-التقط جمال زجاجة حمض الكبريتيك المركز، ثم قذف محتوياتها نحو جسد علام المغطى بالحشرات، ولكن الحشرات ابتعدت في لمح البصر، فأصاب الحمض جسد علام، وتصاعدت في المكان رائحة شواء مخيفة، لتصبح رائحة وجبة الرعب الجاري إعدادها داخل المعمل .

انقضت الحشرات على علام ثانية، وحملت جسده وطارت نحو الحائط، الذي استحال أسود اللون بالكامل. وأمام أعين جمال الذاهلة، اخترقت الحشرات الجدار ومعها علام. وما إن اختفت في الداخل حتى اختفى السواد من الحائط وعاد لونه كما كان

نجح العمال أخيرا في فتح الباب، ليجدوا المعمل محطما تماما، وجمال ملقى في أحد الأركان فاقد الوعي، والدماء تنزف من جراحه، أما الدكتور علام فقد اختفى ..

وبلا أثر!..

## ٢

اعتدل إيهاب في جلسته على الأريكة في صالة منزله، ثم التقط نفسا عميقا من سيجارته، قبل أن يلقيها أرضا، ثم يسحقها بقدمه على السجادة... هذه الحركة تثير جنون ميادة دائما، ولكن أين هي ميادة؟ لقد ذهبت وتركته.

إيهاب في منتصف الثلاثينيات من عمره، طويل القامة قوي البنية، أسود الشعر والعينين، يرتدي بذلته الرسمية، ولكن أزرار السترة مفتوحة، وقبعته وميداليته ملقيتان بجواره في إهمال .

طوفان غريب يجتاح عقله، أمواجه الفرح والفخر والغضب والحزن والألم!!

مازال يشعر بآثار سهام الانبهار والتبجيل التي وجهت إليه في حفل تكريمه.. المدح من قادته:

"لقد أثبت أنك أسد ابن أسد"، "أنت فخر لجهاز الشرطة كله".....

وعبارات الانبهار من الضباط الأقل رتبة:

"أنت مثل أعلى لنا جميعا"، "لقد قهرت المستحيل....."

قذف سيجارة أخرى في فمه، ثم أشعلها وجذب منها نفسا عميقا.. ولكن الحفل الحقيقي كان ينتظر عودته إلى المترل ..

ميادة ليست هنا.. ونور أيضا ليست هنا!

ميادة نصفه الآخر قد ذهبت، وأخذت معها نور عينيه الذي يرى به.

لم تغضب ميادة فقط، احتضنت ابنتها ثم أخذهما وأغلقت عليهما الغرفة دون كلمة واحدة، ولكنه الآن عرف لماذا كانت قد حسمت أمرها وقررت الرحيل .

رسالتها التي تركتها له تلهبه كعشرات السياط، تمزقه كمئات الأنصال الحادة.. إنها لم تعد تشعر بالأمان معه، لم تعد تثق به، بل لم تعد.. تحبه!.. لذلك قررت الرحيل للأبد!

قبض على الميدالية الملقاة بجواره، ثم قربها من وجهه، وثبتها أمام عينيه، وتطلع إليها للحظات، ثم قال:

– خسرت حياتي وربحتك !

نهض واتجه نحو صورة والده المعلقة على الحائط أمامه، ووقف يتطلع إليها للحظات.. الصورة التقطت لوالده قبل وفاته بعام واحد، وتظهره مرتديا بذلته الرسمية، وعلى وجهه الحزم والصرامة والقوة، نفس النظرة التي تطالعه عندما ينظر في المرآة

–لقد فعلت الأمر الصحيح كما علمتني، وجعلتني أقسم كل يوم أن أفعله دائما، منذ لامست جلدي بذلة الشرطة. وانظر الآن ما حدث لي!

رفع الميدالية والرسالة أمام الصورة مكملا:

– خسرت حياتي وربحت ميدالية.. خسرت زوجتي وطفلتى وربحت ميدالية!

وصمت لحظات، ثم تقاطر الغضب من صراخه:

– هل يرضيك هذا؟ هل يرضيك؟

ظل واقفا يتطلع للصورة كأنه ينتظر إجابته، ثم جلس على الأرض مسندا ظهره إلى الحائط، متذكرا كيف بدأت النهاية..

***

تطلع إيهاب إلى انعكاسات الأضواء المتكسرة على صفحة النيل عبر نافذة الطابق الثاني لمطعم فينوس للحظات، ثم عاد ببصره نحو ميادة الجالسة على الطرف الآخر للطاولة، يتطلع إلى عينيها للحظات، ثم قال:

– أشعر أنني أحلق فوق القمر. لقد استطعنا أخيرا أن نلقي القبض على تامر السبع ، بعد أن حير الإدارة لسنوات .

استمرت في تناول طعامها دون تعليق، فهز رأسه ثم أكمل:

- إنه شعور رائع عندما أخلد للنوم وأنا أعرف أنني قد جعلت الشوارع أكثر أمانا.

وضعت ميادة الشوكة والسكين من يدها، ثم تطلعت إليه قائلة:

- وماذا عن مترلك؟

- ماذا عنه؟

تطلعت ميادة إلى مركب مضيء سابح في النيل للحظات، ثم قالت:

- ألم تفكر كيف أشعر عندما يأتي الليل وأنا وحيدة في المترل، أفكر فيك.. أفكر أنك ربما.. ربما لن..

وغلبها انفعالها، فصمتت للحظات ثم أكملت:

- إنني أموت في اليوم ألف مرة و..

- مهلا يا عزيزتي مهلا...

- أو حتى تفكر في نور ابنتك..

- عزيزتي!

-يجب أن تأخذ العمل عند...

- ميادة!

قالها رافعا صوته إلى الحد الذي جذب أنظار رواد المطعم الآخرين، فصمتت ميادة، فمد يده واحتضن يدها قائلا في حب:

– عزيزتي.. إننا لم نرسل نور إلى بيت ثريا شقيقتك لنأتي هنا ونتشاجر. لقد أتينا هنا لنستمتع ونقضى ليلة تذكرنا بالأيام الخوالي. هل يمكننا أن نفعل ذلك؟

وصمت لحظة تطلع خلالها إلى عينيها، ثم قال:

– من فضلك!

تلفتت ميادة حولها ثم ابتسمت قائلة:

– حسنا.. فلنستمتع .

صفق بيديه في مرح قائلا:

– هذه هي زوجتي الحبيبة.

شرع الاثنان في تناول الطعام، فخيم الصمت لدقائق، حتى قطعه إيهاب قائلا:

– إنني الآن أسعد رجل في العالم.. ناجح في عملي، وزوجتي راضية عني .

– لا تغتر..

وبترت عبارتها، حينما ارتفع رنين هاتفها المحمول، فقال إيهاب:

– لا تجيبيه.. لا نريد أن يقاطع أحد ليلتنا الخاصة .

نظرت إلى شاشة الهاتف قائلة:

– إنها ثريا شقيقتي! ربما تريدنا لأمر هام..

ودون أن تنتظر رده، ضغطت زر الإجابة، فكان أول ما صافح أذنها هو صوت شهقات وبكاء ثريا، ثم صراخها:

- لقد اختطفوا نور يا ميادة!

- ماذا؟

- لقد اقتحموا المنزل واختطفوها .

ولاحظ إيهاب امتقاع وجهها الشديد، فصاح

- ماذا هناك؟

خفضت ميادة الهاتف عن أذنها، ثم قالت في انهيار:

- لقد اختطفوا نور.

## ٣

مبنى الأبحاث السرية التابع لوزارة الدفاع(العنقاء)

كما أن العنقاء تنهض من رمادها ثانية، كانت تلك فكرة العميد أشرف العقاد، عندما تقدم مع مجموعة أخرى، بطلب للوزارة للحصول على تمويل لعدة أبحاث يعملون عليها، تساعد على نهوض الوطن وعودته للمقدمة ثانية.. ولكن تم رفض الطلب!

ظلت العنقاء حبيسة، حتى نجح أشرف في الحصول على تمويل من عدد من رجال الأعمال، وبدأ العمل على أبحاثه .

مر عامان دون أي ثمار، ولكن أشرف لم ييأس وواصل العمل .

العام الثالث كان العام الذهبي للعنقاء، ففي بدايته نجحت العنقاء في المساعدة في القبض على واحدة من أكبر شبكات التجسس في المنطقة، عن طريق تطوير جهاز قادر على التقاط موجات الاتصال فائقة الصغر، التي كانت الشبكة تستخدمها .

ثم ضربت العنقاء ثانية، عندما نجحت في تطوير أجهزة لكشف الطائرات الشبح من مسافات بعيدة.

وهنا صدر قرار بضم العنقاء رسميا إلى وزارة الدفاع .

المبنى الرئيسي للعنقاء مكون من خمسة عشر طابقا –منها خمسة طوابق تحت الأرض– ويقع في شارع تجارى شهير. الأدوار العشرة العليا تحتلها شركات شهيرة، تعمل كغطاء للمشروع أما الطوابق الخمسة المدفونة، فهي المقر الرئيسي للعنقاء.

الطابق الثالث تحت الأرض هو المختص بأبحاث الزمكان (الأبحاث المتعلقة بالزمان والمكان ) تديره الدكتورة سها أشرف العقاد، وهو مكون من عشر غرف وثلاث ممرات تربط بينهم .

وهناك حجرة صغيرة مغلقة في نهاية الممر الأول، عليها لافتة صغيرة، تقول:الحجرة رقم سبعة.

الحجرة ممتلئة بالأجهزة المعقدة والشاشات المضيئة التي تحتل جدرانها الأربعة، وفي منتصف الغرفة يوجد آلة ضخمة تشبه المجهر، وحتى السقف عبارة عن شاشة ضخمة تظهر خريطة زمنية

كانت الشاشات تظهر منحنيات منتظمة، وهناك مؤشرات حمراء وزرقاء:الحمراء تشير إلى صفر، والزرقاء تشير إلى خمسة، وهناك صافرات منتظمة تنبعث من الآلات.

ظلت الحالة منتظمة لعدة دقائق إضافية.. ثم بدأ الجنون!

دوت صفارة عالية في المكان، دامت للحظات، وكأنما كانت إشارة البدء. أخذت المنحنيات تتراقص، وراحت المؤشرات تدور حول نفسها، كأنها أفعى تحاول التهام ذيلها!

انفتح الباب، ودخل رجلان في معطفين أبيضين، تطلعا إلى ما يحدث للحظات، ثم هتف الأول:

- إنها تعمل.. لقدر رصدته بالفعل !

بينما صاح الثاني:

- إنه يحدث الآن!

ثم أسرع نحو هاتف معلق على الحائط، فالتقط سماعته وضرب رقما قصيرا..

- دكتورة.. سها لقد ظهر!........ نعم لقد رصدته الآلة.

## ٤

- هل تريدين شيئا؟

نطقت بها ثريا وهى تتجه إلى الداخل، فرفعت ميادة بصرها عن التلفاز واعتدلت في جلستها على الأريكة ثم همست:

- لا

ميادة في الثامنة والعشرين من عمرها، جميلة إلي حد ما، متوسطة الطول، رشيقة الجسد، سوداء الشعر، زرقاء العينين

اختفت ثريا بالداخل، بينما بقيت ميادة تتطلع للتلفاز بعينين لا تريان، والأفكار تتصارع داخل رأسها..

كيف حدث هذا؟ .. كيف انهار كل شي بهذه الطريقة .. بهذه السرعة.. إنها لم تلحظ أي شيء.. لم تلاحظ أية شقوق في سعادتها قبل أن ينهار كل شيء... لحظة واحدة كانت الفارق. كانت غارقة في السعادة وفي اللحظة التالية تجاهد لتخرج من تحت أنقاض الألم. تتذكر كلمات إيهاب:"أنت أغلي شي في حياتي ولن أتردد لحظة في التضحية بحياتي نفسها من أجلك".. هل كانت تعيش في منزل أكاذيب انهار مع أول ضربة حقيقة؟

هربت الدموع من عينيها، وهي تتذكر آخر موقف جمعهما في الحجرة الصغيرة، وأعينهما حائرة بين الهاتف الموضوع على المنضدة أمامهما وبين الساعة المعلقة على الحائط، والقلق والترقب والتوتر يأكلون وجهيهما، حين قالت له:

- يجب أن تترك جمال كما أخبرك.

رد إيهاب:

- أنت تعرفين أنه لا يمكنني تركه.

صاحت:

- ولكنه قال إنه سيقتل ابنتنا لو لم تفعل !

وقبل أن يجيب، سمعا صوت طرقات على الباب، ثم دخل رجلان في ملابس الشرطة الرسمية، وأحدهما يحمل جهاز لا سلكي في يده. قال الأول ملوحا بجهاز اللاسلكي:

- لم نتلق بعد أية اتصال من أي من الفرق الثلاث.

استدرك الثاني:

- سيجدونها بإذن الله.

خرجت ضوضاء من جهاز اللاسلكي، فرفعه إلى فمه وتحدث للحظات، ثم خفضه قائلا:

- الفرقة الأولى وجدت المكان خاليا

خيم الصمت عليهم للحظات، ثم عادت ضوضاء اللاسلكي..

- الفرقة الثانية وجدت المكان خاليا..

وجوم رهيب خيم على وجوه الواقفين الصامتين، حتى قالت ميادة في تضرع:

- يجب أن تعطيهم ما يريدون.

لم يجبها إيهاب، وخيم الصمت حتى قطعه جرس الهاتف، فانتفض جسد ميادة في عنف، بينما ضغط إيهاب زر الإجابة، فجاءه صوت غليظ:

- لقد انتهى الوقت، ما هو قرارك؟

تجمد الزمن لحظتها، والعيون كلها معلقة بإيهاب، الذي صمت ولم يجب. جاءه الصوت ثانية:

- ما هو قرارك؟

التقط إيهاب نفسا عميقا، ثم قال:

- لن أطلِقه .

- إذا فأنت تريدني أن أقتل ابنتك؟

- لن أطلقه.

- حسنا.. لم تترك لي خيارًا .

تطلعت ميادة إلى إيهاب بنظرة ذاهلة غير مصدقة، بينما الصوت يكمل:

- هيا يا سيادة المقدم، قل الجملة:اقتل ابنتي.. ليست عسيرة، هيا قلها؛ ولكن ليس لي، بل لابنتك.. سأضع الهاتف على أذنها .

صرخت ميادة:

- لا ليس ابنتي.. لا.. نـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــور..
يجب أن تطلقه

لحظات، وجاء صوت نور..

- أبي!

قال إيهاب:

- كل شيء سيكون على ما يرام يا عزيزتي..

قاطعه الرجل..

- لا تكذب يا سيادة المقدم، أخبرها بما أخبرتني.. أخبرها أنك تريدني أن أقتلها.

ضربته ميادة بقبضتها صائحة:

- انقذ ابنتي... ابنتنا... نور

وراحت تتمتم بكلمات غير مفهومة وسط دموعها، بينما جاء صوت نور باكيا:

- انقذني يا أبي !

أطبق الصمت للحظات، ثم جاء صوت الرجل:

- قرارك النهائي؟

هربت دمعة من عين إيهاب، فمسحها بيده، ثم قال:

- لن أتركه.

قال الرجل:

- حسنا يا عزيزتي.. والدك اختار التضحية بك، وأنا لن أرفض له طلبا .

انهارت ميادة على الأرض، وجسدها ينتفض في عنف، في حين سقط إيهاب على أحد المقاعد، وصراخ نور يدوي عبر الهاتف، ثم طلقة رصاص، ثم آخر يهتف:

- هنا الفرقة الثالثة.. لقد قتلنا المجرم، وأنقذنا الطفلة .

عادت ثريا، تطلعت إلي ميادة الغارقة في خواطرها، ثم قررت أن تتركها لها، وجلست تتابع الفيلم.

ثريا في الثانية والثلاثين من عمرها، متزوجة منذ خمس سنوات، وزوجها يسبح في نفط الخليج منذ عام، وليس لديهما أطفال، لذلك أصبحت غرفة الأطفال لنور، تمكث فيها كلما جاءت لزيارتها. وفي داخل الغرفة، انكمشت نور تحت الغطاء، وهي تشعر بالرعب الشديد يحبس أنفاسها، وعيناها معلقتان بدولاب الملابس، وفكرة واحدة تسكن رأسها.. هناك وحش داخل الدولاب؛ إنها تشعر به، تسمع صوت أنفاسه الثقيلة.. تنكمش في فراشها أكثر، تتمنى لو يبتلعها الفراش .

رأت باب الدولاب ينفتح للخارج ببطء، مصدرا صريرا مخيفا، فتحرك صدرها صعودا وهبوطا بسرعة كبيرة كمصعد في عمارة مزدحمة.. ماذا تفعل؟.. هل تصرخ؟ هل تنادى والدهًا؟.. هل..

الصرير المخيف يستمر، حتى استطاعت أن ترى داخل الدولاب.. لاشيء! إنه مظلم كالليل، لا شيء داخله! بدأت أنفاسها تنتظم.. لقد كانت تتوهم ، لا يوجد وحش داخل الدولاب

لكن انزلق صمام أعصابها، وأغلقت عينيها، وراح صراخها يرج المترل، عندما رأت عينين حمراوين كالدم، ظهرتا فجأة في فضاء الدولاب المفتوح، تحدقان بها.

شعرت بالأيدي القوية تمسك بجسدها وتحاول حصارها، فصرخت بقوة أكثر .

– نورا إنها أنا أمك!

فتحت عينيها ببطء، لترى والدهًا جالسة بجوارها على الفراش، تحتضنها بقوة، وخالتها ثريا واقفة بجوارها. فصرخت :

– الوحش يا أمي..! لقد كان قادما نحوى.. وحش مخيف.

ضمتها والدهًا أكثر، ومسحت على رأسها قائلة:

– لا يوجد وحوش يا حبيبتي.. لقد كنت تحلمين .

دفعتها نور بعيدا قائلة:

- لا لم أكن أحلم. لقد رأيت عينيه حمراوين كالدم داخل دولاب الملابس .

اتجهت ثريا نحو دولاب الملابس، ومدت يدها لتفتحه، فصرخت نور:

- لاااااا

ولكن ثريا فتحت الدولاب، ثم أشارت إلى داخله الخالي قائلة:

- انظري!.. لا شيء.. لا يوجد أي وحوش.

- أقسم لكم.. لقد كان هنا داخل الدولاب .

قالت ميادة:

- حسنا أهدئي فقط يا عزيزتي، وأنا سأبقى هنا بجوارك، ولن يقترب منك أي شيء

احتضنت نور والدها بقوة، متمنية أن تدخل داخلها ثانية.

## ٥

لم يغادر إيهاب الشقة منذ ذهب للقاء ميادة عند شقيقتها، ولكنها رفضت السماح له بالدخول. حاول التحدث معها في الهاتف فلم تجبه، استخدم رقما آخر فأجابته، وبمجرد أن عرفت أنه هو أغلقت الهاتف .

سحب نفسًا عميقًا من سيجارته، ثم نفثه في قوة، وكأنه ينفث معه الألم الكامن في صدره.

تطلع إلى الصورة المعلقة على الحائط أمامه، تظهره هو وميادة ونور في إحدى الحدائق في أحد الأعياد.

مسح على الصورة متمتما..

– لماذا يا ميادة؟ لماذا تركتني؟ أنا فقط فعلت الأمر الصحيح.. كيف أترك قاتلا يعود إلى الشوارع مرة أخرى؟ أتعرفين كم تطلب الأمر لنلقي القبض عليه؟ لقد كان شبحا ، ونحن –وبمعجزة– نجحنا في القبض عليه، وتريدينني أن أطلقه ثانية! تريدينني أن أخون مبادئي؟ أخون وطني؟ أحنث بقسمي، الذي أردده كل يوم؟ أهرب عند الاختبار الحقيقي؟

ثم تطلع إلى صورة نور ..

– وأنت يا نور.. أنت تعلمين أنني أحبك أكثر من نفسي.. أقسم لك أنني أحبك أكثر من نفسي.. أنت تعلمين هذا، أليس كذلك ؟

أخذ يجول في الشقة مثل نمر حبيس.. هذا المترل الذي شهد أجمل لحظات حياته، أصبح الآن يخنقه بيدي الوحدة الباردة القاسية. هنا كان يجلس يطالع الجريدة، فتأتي نور لتجلس على ساقه فيلاعبها، ولكنها تجذب الجريدة منه فيجذبها بعيدا عنها، فتصيح في غضب، فتخرج ميادة من المطبخ تقطع شيئا ما، ثم تمسح وجهها بظهر يدها لترى ماذا هناك..

كل ركن في المترل يفوح برائحتهما.. كم يحبهما! الحياة بدونهما لا تحتمل.

ارتفع صوت جرس الباب فهمس:

– من الذي يأتيني الآن؟ أنا لا أريد أن أرى أحدًا .

ثم رفع صوته:

– انصرف..اذهب بعيدا

ولكن الجرس استمر، فنهض متثاقلا نحو الباب.. من هذا السخيف الذي لا يريد أن ينصرف؟

فتح الباب، فوجد شقيقه حسن، الذي بادره بمجرد أن رآه ..

– يا إلهي! تبدو كجثة خارجة من المقابر في زيارة.

أولاه إيهاب ظهره، وتحرك للداخل، فأغلق حسن الباب، ثم تبعه مكملا:

– لماذا تفعل بنفسك هكذا؟

– تتحدث كأنك لا تعرف ما حدث.

– أنا أعرف؛ ولكن هل تظن أن هذا هو الحل الذي سيعيد إليك حياتك، أن تظل جالسا هنا حتى تتعفن؟

في سخرية مريرة رد إيهاب:

– وماذا تريدني أن أفعل؟ أرقص وأغني؟ !

– لا.. أن تنهض مثل الرجال، وتستعيد زوجتك وابنتك .

وصمت لحظة، تطلع خلالها إلى الفوضى المقيمة في الشقة، ثم أكمل:

– تستعيد حياتك.

– أية حياة؟ لم يعد هناك شيء باقٍ لاستعادته.. لقد أخبرتني بذلك.

– إنها حالة طبيعية في مثل هذه الظروف؛ ولكنها ستنسى، ولن تتذكر إلا حبها لك.

– ولكن..

قاطعه حسن:

- لا يوجد لكن.. انهض الآن فخذ حماما، وارتد ثيابك، فنحن ذاهبان لنستعيد زوجتك. لقد اتصلت بثريا وأخبرتها أننا قادمان اليوم.

- ولكن..

- ششش اصمت ..

ثم دفعه نحو الحمام مكملا:

- هيا ادخل ولا تتكلم، وسأجهز لك ثيابك، ولا تقلق.. سنعيدها معنا بإذن الله.

همس إيهاب:

- يا رب!

## ٦

العنقاء

غرفة الاجتماعات الخاصة بقسم أبحاث الزمكان

دوت الهمسات في القاعة، بين الرجال الجالسين حول منضدة مربعة الشكل، تحتل أغلب فراغ الحجرة، وأمام كل منهم شاشة صغيرة تعمل باللمس، بينما يوجد في منتصف المنضدة كرة كرستالية تسبح في سائل شفاف، وتتألق بألوان تتغير باستمرار..

– هل تعرف سببا لهذه الجلسة الطارئة؟

– إنها تتعلق بالغرفة رقم سبعة.

– حقا!

– نعم، لقد رصدت الآلة مولد شقٍ جديد.

– ومـــ..

–.....

ماتت الهمسات عندما دخلت الدكتورة سها إلى الغرفة.. جميلة هي، ولكنه جمال ممزوج ببرودة يبدو الثلج معها أكثر دفئا.. عيناها

تنطقان بطموح بلا حدود، والويل لمن يقف في طريقها. وترتدي معطفا أبيض فوق ثياب سوداء .

جلست الدكتورة سها على رأس المائدة، وهي تتطلع إلى وجوه الجالسين..

- دعوتكم إلى هذا الاجتماع الطارئ لأخبركم أن الأمر قد حدث.. انفتح شق زمني جديد .

صمتت لحظة لترى تأثير حديثها علي الجالسين، ثم أكملت:

- ولقد نجحنا باستخدام الآلة في الغرفة السابعة في رصده منذ مولده هذه المرة .

دوت صيحات الحماسة والفرح من الجالسين، فتركتهم لثوان، ثم نقرت بأصابعها على المنضدة، فصمت الجميع. جرت أصابعها على الشاشة المضيئة أمامها، فتألقت الكريستالة باللون الذهبي، وخرجت منها صور ثلاثية الأبعاد في فضاء الغرفة، تمثل ما تتحدث عنه..

- في البداية، رصدت الآلة تغيرًا كبيرًا في طاقة مجرى الزمن ، قفز بمؤشر الطاقة إلى أعلى حد، ثم ارتفعت منحنيات الزمن من المستوى الأول إلى المستوى السابع، ومنحنيات المستوى الثاني إلى التاسع، أما منحنيات المستوى الثالث فبقيت ثابتة.

صمتت لحظة ثم أكملت:

- ثم بدأنا البحث ورصدنا التغير، لنعرف صاحب الشق .

ظهرت صورة نور، ابنة إيهاب في فضاء الغرفة، وأكملت

– نور إيهاب شكري، عشر سنوات، تلميذة في الصف الخامس الابتدائي .

غمغم الدكتور عبد الله:

– إنها طفلة !

لكن سها تجاهلته مكملة؛ بينما ظهرت صورة إيهاب..

– والدها ضابط شرطة في إجازة حاليا .

ثم ظهرت صورة ميادة..

– ووالدتها مدرسة لغة عربية بمدرسة(...) وهى حاليا تقيم مع نور بمنزل شقيقتها.

تلاشت الصورة وخبا تألق الكريستالة..

– وحاليا، يقوم فريق العمليات الميدانية بتثبيت آلات المراقبة في المنزلين، وفى المدرسة، وفى أي مكان تذهب إليه نور .

وصمتت لحظة، مالت خلالها نحو الجميع مكملة:

– هذه الفتاة أصبح لديها ظل جديد الآن!

## ٧

- إيهاب وحسن قادمان بعد قليل.

نطقت ثريا بالعبارة، فألقت ميادة ما في يدها، ثم التفتت نحوها صائحة في غضب:

- ماذا؟!

- لقد اتصل بي حسن، وطلب مقابلتك فأخبرته أن يأتي...

قاطعتها ميادة صائحة بلهجة ملؤها الاستنكار:

- وكيف فعلت هذا دون أن تخبريني؟

صاحت ثريا:

- لا يمكنني أن أراك تحطمين حياتك وأظل صامتة.

- أية حياة؟ لقد كنت أعيش كذبة كبيرة.

- لا تدعي الغضب يسيطر عليك.. أنت تحبين زوجك و..

- إنه ليس زوجي؛ ذلك اللعين كاد أن يقتل ابنتي .

- إنها ابنته أيضا، ولم يكن يسمح بحصول أي مكروه لها.

- لقد فعل..

دق جرس الباب فقطعت حديثها، بينما نهضت ثريا نحوه قائلة:

- هذا زوجك، وستقابلينه وتتحدثين معه.

ودون أن تنتظر ردها، سارت نحو الباب لتفتحه قائلة:

- أهلا بكما.. تفضلا.

دخل حسن وإيهاب، وقادتهما ثريا إلى غرفة الصالون، ثم خرجت من الحجرة قائلة:

- سأنادي ميادة.

قال حسن:

- ستعود معنا بإذن الله.

وفي الخارج، جذبت ثريا ميادة من ذراعها قائلة:

- هيا إنهما ينتظران

رفضت ميادة في البداية، ثم استسلمت لإلحاحها وسارت معها. دخلتا الصالون. بادرها حسن:

- كيف حالك يا ميادة؟ وكيف حال نور؟

أجابت باقتضاب:

- بخير .

جلس الجميع، وخيم الصمت، لا أحد يعرف كيف يبدأ، ولكن الأعين قالت الكثير..

عينا إيهاب الحزينتان المنكسرتان مع رشفة أمل تتوسلان إلى ميادة، التي تعلقت عيناها الهادئتان بالسقف، وكأنها تراجع جودة طلائه. هذا الهدوء الذي اقشعر له جسد إيهاب.. إنه يعرف ميادة جيدا، تكون في أشد حالات غضبها عندما تكون هكذا .. هدوئها هذا لا يعنى أنها سامحته، بل على العكس يعنى أنها على وشك سلخه حيا! إنه الهدوء الذي يسبق العاصفة..

تبادل حسن مع ثريا النظرات، ثم قال:

– منذ غادرت المترل أنت ونور، وإيهاب يعيش في جحيم لا يطاق. إنه لا يستطيع الحياة من دونكما، فأنتما حياته كلها

بسخرية لاذعة ردت ميادة:

– حقا!

ألجمت سخريتها حسن، فقال إيهاب بسرعة:

– هل عندك شك في حبي لك؟ هل عندك شك أنك ونور أغلي من حياتي؟

قالت ميادة :

– لقد أصبحت أشك في نفسي، والفضل لك.

قالت ثريا :

– بالطبع ميادة تعرف حبك لها، وهى أيضا تحبك ولا يمكنها ..

قاطعتها ميادة:

- لا تتحدثي عنى.. لقد كنت أعيش كذبة كبيرة مع رجل توهمته يحبني .

صاح إيهاب:

- إنني أحبك يا ميادة، وسأظل أحبك حتى آخر نفس.

صاحت ميادة:

- والتضحية بابنتي جزء من حبك لي، أليس كذلك؟

شعر حسن بتوتر الجو، فأسرع يقول محاولا تغيير الموضوع:

- أين نور؟ أريد أن أراها .

ردت بحدة:

- لماذا؟ حتى يمكنه أن يتم عملية قتلها التي فشلت؟

انفعل إيهاب:

- لم أكن أبدا لأؤذى ابنتي !

نهضت ثريا من مكانها قائلة:

- إنها في الداخل سا...

وماتت باقي عبارتها على فمها، وجلست مكانها ثانية، عندما رمقتها ميادة بنظرة تعرفها جيدا؛ بينما قال إيهاب:

- لقد أخبرتك.. كان لدى خطة.

قالت ميادة:

– هذه هي المشكلة.. ابنتك في خطر، وأنت لديك خطة. الخطة الوحيدة التي كانت يجب أن تكون في رأسك هي إنقاذ ابنتك، وليس الاحتفاظ بمجرمك اللعين خلف القضبان.

رد وقد اقترب من اليأس:

– لم أكن أستطيع أن أعيده إلى الشارع ثانية، وأنا أعرف ما سيفعل!

صرخت:

– ولكنك تستطيع فقط أن تضحي بابنتي!

ارتبك إيهاب، فأسرع حسن يقول:

– الحمد لله يا ميادة قدنجحنا في إنقاذها.

قالت باستنكار:

– ضربة حظ، من أدراني أنها ستتكرر؟

قال حسن :

– الحافظ هو الله، ولا راد لقضائه.

زفرت..

– ونعم بالله، ولكنني لم أعد أستطيع الحياة معه.. لم أعد أشعر معه بالأمان الذي وعدني.. بل أشعر أنني وابنتي سنكون أول من يضعه تحت قدميه، عندما يقابله أي أمر!

سارع إيهاب:

- ولكنى أحبك ولا أستطيع...

قاطعته..

- كف عن هذا الهراء.. كل ما تهتم به هو نفسك وعملك وتحقيقك لقسمك .

احتل الصمت المكان لثوانٍ، حتى طرده إيهاب بقوله:

- ولكنكما أهم عندي مـــن كل...

ولكن ميادة لم تدعه يكمل، وقالت في حسم:

- لقد انتهينا هنا.

ثم نهضت من مكانها، وأشارت نحو الباب مكملة:

- والآن اخرجا.. اخرجا من حياتي كلها .

نظر إيهاب نحو ثريا متوسلا، ولكن الأخيرة أشاحت بوجهها في حرج؛ فنظر نحو ميادة، ولكنها بدت له جامدة كالصخر،فجذب حسن وغادرا.

قالت ثريا:

- لماذا فعلت هذا؟ إن زوجك يحبك!

صاحت ميادة:

- لم أكن أريد مقابلته، ولكنك أنت من أصررت على هذا؛ ولا أريدك أن تقولي زوجك هذه ثانية.. هل تفهميني؟

وصمتت للحظات، ثم أكملت في حزم:

- أعرف أن هذا منزلك، تستقبلين فيه من تريدين. ولكن لو استقبلت فيه أحدًا يخصني ثانية دون إخباري، فلن تريني بعدها .

لوحت ثريا بيديها قائلة:

- أنا لم..

قاطعتها ميادة:

-اتركيني وحدي الآن .

غادرت ثريا، فشعرت ميادة أن الدروع التي أحاطت بها نفسها تسقط. إنها مازالت عاجزة عن تصديق ما حدث. إيهاب يفعل بها كل هذا! كل هذه السعادة والحب كان مجرد سراب، مجرد وهم، مجرد بيت متآكل الجدران انهار مع أول صدمة!

أغلقت عينيها والألم يأكل قلبها، فهربت الدموع من عينيها

لحظات، ثم شعرت بيد صغيرة تمسح دموعها، ففتحت عينيها، لتجد نور واقفة بجوارها. ضمتها إليها، فقالت نور:

- هم من جعلوك حزينة باكية، أليس كذلك؟

مسحت ميادة دموعها قائلة:

- لقد ذهبا ولن يعودا ثانية.

قالت نور:

-كنت أتمنى أن يبقى والدي، ويبيت في غرفتي الليلة .

- لماذا؟

- حتى يأتي الوحش المخيف ذو العينين الحمراوين فيأخذه ونستريح منه.. أنا أكرهه كما يكرهنا وأكثر.

- لا يا حبيبتي.. لماذا تقولين إنه يكرهك؟

- لقد سمعته يقول للرجل المخيف الذي خطفني اقتلها فأنا لا أهتم .

ضمتها ميادة إلى صدرها بقوة أكثر ..

- اطمئني يا عزيزتي لن أدع أحد يؤذيك أبدا.

## ٨

- أنا في غاية السعادة يا أبي .

قالتها ريم ابنة الدكتور عبد الله، وهي تلتهم الأيس كريم أثناء جلوسها معه داخل سيارته الرياضية الزرقاء، في طريق عودهما للمترل، بعد يوم قضياه في مدينة الملاهي فمسح عبد الله رأسها قائلا:

- أميرتي الصغيرة تأمر فقط وأنا أنفذ.

- أنا أحبك كثيرا يا أبي .

- وأنا أحبك أكثر يا أميرتي .

- أتمنى أن نكررها ثا..

ثم انقلبت ضحكتها صراخا..

- احذر يا أبي !

فالتفت عبد الله إلى الأمام بسرعة، ليجد سيارة نقل قادمة نحوه بسرعة كبيرة، وضوئها يغشي عينيه، فأدرك أن التصادم واقع لا محالة .

وبدون تفكير، وكلمح البصر، فتح عبد الله باب السيارة المجاور لابنته، ثم دفعها للخارج، متمنيا أن تنجو من الاصطدام القاتل، وتخرج فقط بعض الجروح والكدمات البسيطة من السقطة.

ولكن –وبمعجزة ما– نجح سائق النقل بتفادي سيارته، ومر بجوارها بالضبط، ليسمع عبد الله صوتا – مازال يقتله حتى الآن– ثم خيم الصمت على المكان.

ضغط فرامل، ثم فتح الباب، وهبوط على ساقين من عجين، وجسده كله يرتجف بمنتهي القوة، ليبصر سائق النقل يهرب مبتعدا، بينما انهار هو، فأكمل طريقه زحفا على أربع نحو الدماء التي تغطي الطريق

و..

وانتزعت عبد الله من بحر ذكرياته يد وضعت على كتفه، ففتح عينيه، ليجد صديقه الدكتور عادل واقفا بجواره. قال عادل:

– أين ذهبت؟

– أستعيد بعض الذكريات.

– عنها، أليس كذلك؟

لم يجب عبد الله، واحترم عادل ذلك، فحل الصمت ثالثا لهما، حتى قال عبد الله:

– لا يجب أن يشرب أحد آخر نفس الكأس؛ ليس وأنا أستطيع إيقافه .

– ولكنك لا تستطيع إيقافه.

– هناك تلك الآلة التي صنعناها معا و..

قاطعه عادل قائلا:

– إننا لم نختبرها بعد. وحتى لو عملت، فإن سها لن تسمح باستخدامها .

– سأجد حلا!

## ٩

استغرقت نور في متابعة الأستاذ صابر، المنهمك في شرح حصة الرياضيات على السبورة البيضاء الكبيرة، التي تحتل نصف الجدار المواجه للطلاب. لكنها التفتت خلفها، عندما سمعت صوتًا غريبًا أشبه بأزيز الحشرات، قادمًا من الخلف. ولكن لا شيء، والجميع منتبهون للشرح، كأنهم لا يسمعون شيئا!

- انظري أمامك وانتبهي .

انتفض جسد نور وهي تلتفت مسرعة مع عبارة الأستاذ صابر المقترنة بضربة بعصاه على الدرجة أمامها، ولكن لحظة.. ما هذا؟! متى كانت عينا الأستاذ صابر حمراوين كالدم هكذا؟ ومتى كانت أسنانه ضخمة كأسنان القرش؟ ولماذا لا يلاحظ الآخرون شيئا؟

خفضت بصرها إلى الكتاب المفتوح أمامها، ولكنها رفعتها ثانية بجسد منتفض بمنتهى الرعب، عندما سمعت صوت عواء قادمًا من الصف المجاور.

نظرت، فوجدت أحد الطلاب في الصف المجاور برأس ذئب يرفعه إلى أعلى ويعوى ثانية.

الدكتورة كاميليا أخبرتها أنها تتوهم، وأن هذا ليس حقيقيا.. ما عليها إلا أن تفعل ما أخبرتها به وسيذهب كل شيء:أغمضت عينيها،

كتمت أنفاسها، ووضعت يدها على أذنها، وخفضت رأسها إلى الأسفل مرددة:

– هذا ليس حقيقيا، هذا ليس..

وانتفض جسدها ثانية بأعنف ما يمكن، مع ضربة الأستاذ صابر على الدرج أمامها:

– قلت لك أن تنتبهي أو..

فرفعت بصرها نحوه لتراه يرفع رأسه إلى أعلى، لتكمل تحولها إلى رأس ذئب، ثم خفضها نحوها مكملا:

– نأكلك!

وكأنما كانوا ينتظرون كلمته.. رفع كل الطلاب رؤوسهم الذئبية إلى أعلى، وأطلقوا عواءً جماعيا مرعبا، لدرجة أن نور أوشكت أن تتبول على نفسها.

جمدها الرعب لثوانٍ، ثم أخذت تصرخ كأن شياطين الجحيم تمزقها

## ١٠

خلعت مديرة المدرسة نظارتها السميكة، ووضعتها على المكتب أمامها، وتطلعت إلى ميادة قائلة:

– مشكلة نور أصبحت أكبر، وأعتقد أنك لن تستطيعين التعامل معها وحدك، ولذلك..

قاطعتها ميادة قائلة في حدة:

– إنني أعرف كيف أعتني بابنتي بمفردي جيدا.

– أنت لا تفهمين.. مشكلة نور تفاقمت، لقد هاجمت زملاءها في الفصل بحجة أنهم مستذئبين يريدون أكلها، فجرحت اثنين من الطلاب، وكادت تفقأ عين الثالث، لولا تدخل الأستاذ صابر.

انهزمت ميادة، وانكسرت نبرتها..

– أنا آسفة للغاية !

– أولياء الأمور مستاؤون للغاية مما حدث، وتقدموا بشكاوى، ولكنني نجحت في تسوية الأمر معهم .

– شكرا لك.. وأكرر أسفي العميق، لن يتكرر هذا ثانية.

تابعت المديرة، كأنها لم تسمعها:

– لا يمكنني أن أسمح بتكرار ما حدث في مدرستي ثانية. إنها تبث العنف في نفوس زملائها، وتزرع فيهم الوساوس والهلاوس .

– بالفعل نذهب لطبيبة نفسية. لقد قالت إن هذا بسبب التجربة التي مرت بها، وقالت أيضا أنها تحرز تقدما ملحوظا وأنها ستكون بخير خلال فترة قصيرة .

– وحتى تنهي العلاج، فستكون نور في إجازة. يمكنها خلالها متابعة الدروس عبر الإنترنت ولكنها لن تعود حتى تمام علاجها .

– ماذا! لا يمكن أن...

قاطعتها المديرة قائلة:

– هذا أقصى ما يمكنني فعله مراعاة لظروفها. لو أن طالبًا آخر فعل ما فعلته لفصلته على الفور .

ثم نهضت معلنة انتهاء المقابلة، فنهضت ميادة قائلة في استياء:

– شكرا لك على كل شيء.

لاحقتها المديرة :

– ابنتك تحتاج شخصا قويا يعبر بها هذه المحنة.

فهمت ميادة ما ترمى إليه المديرة، ولكنها لم تجب، وأكملت طريقها للخارج.

كانت نور جالسة على مقعد بجوار الباب، فنهضت حين رأتها، وأمسكت يدها، وسارا سويا لخطوات، ثم قالت نور:

– أنا آسفة يا أمي.. لقد كنت خائفة للغاية.. أنا آسفة .

– لا بأس يا عزيزتي.. كل شيء على ما يرام .

– ماذا أخبرتك المديرة؟

– لا شيء.. ولكن أنا وأنت سنقضي بعض الوقت معا بعيدا عن هؤلاء الحقراء.

## ١١

اعتصرت قبضتا إيهاب قضبان القفص الصغير الذي يحتجزه، وهو ينقل بصره بين منصة القضاء التي يعتليها والده وأماكن الحاضرين الممتلئة بأناس وجوههم غارقة في الظل. ثم توقف ببصره عند ميادة، الواقفة أمام المنصة تقول:

– إن هذا الرجل الماثل أمامك يا سيدي هو وحش، بكل ما تحمله الكلمة من معان. لقد حطم حياتي أنا وطفلته الصغيرة بكل قسوة وعنف، ودون ذرة رحمة أو تردد. لذلك، فإنني ألتمس عدلك يا سيدي، أن تحكم عليه بالموت، حتى لا يحطم المزيد من الحيوات .

صرخ إيهاب:

– أنا لم أفعل شيئا.. لقد أحببتها وراعيتها، وكنت لها كل ما تحلم به وأكثر .

صراخ مماثل من ميادة:

– كاذب أنك لم تهتم سوى بنفسك فحسب. كنت تستغلنا لتجميل مظهرك ، وعندما شعرت أننا نقف في طريقك، سحقتنا بقدمك دون تردد.

– لا.. أنت كاذبة أنا لم أفعل هذا

- لقد أصبت ابنتك بالجنون

- لا لم..

وصمت الاثنان، عندما ضرب والده بالمطرقة على المنصة قائلا:

- سكوت

ثم ضرب على المنصة ثانية قائلا:

- استدعوا الدكتورة كاميليا.

لحظات، ثم دخلت الدكتورة كاميليا، ووقفت أمام المنصة قائلة:

- أقسم بالله العظيم أن أقول الحق .

صمتت لبرهة ترتب كلامها، ثم التفت إلى إيهاب الماثل في قفصه قائلة:

- هذا الشخص يا سيدي الرئيس وحش، كما وصفته زوجته وأكثر. لقد حطم ابنته الصغيرة تماما. إنها مريضة عندي، ويمكنني أن أخبرك يا سيدي.. لقد أصبحت مجنونة بالكامل .

صاح إيهاب:

- كاذبة!

ردت كاميليا:

- حقا؟..!

قاطعها إيهاب صارخا

- لا لم..

فصرخت ميادة:

- لا، أنت الـــ..

علا الصراخ في القاعة، فضرب والده بالمطرقة صائحا:

- صمتا.

صمت الثلاثة، فنقل بصره بينهم للحظة ثم قال:

- أدخلوا نور..

دخلت نور يصطحبها أحد العساكر، تتخبط قدماها، وتحني رأسها للأمام، فينسدل شعرها المنكوش للأمام مغطيا وجهها. وقفت مع العسكري أمام المنصة، فقال جدها:

- تحدثي إلى والدك .

رفعت نور وجهها وأرجعت شعرها للوراء فانتفض إيهاب من هول ما رأى .. ما هذا؟! لا يمكن أن تكون هذه ابنته!

قالت نور:

- أبي! يحبني.. لا إنه يكرهني.. لا إنه يريد الرجل المخيف أن يقتلني.

صرخ إيهاب:

- لا.. أنا لم أفعل هذا بك!

ثم التفت إلى والده مكملا:

– أنا فعلت ما أمرتني به.. لقد نفذت القسم الذي جعلتني أقسمه كل يوم، والآن تحاكمني!.. يجدر بك أن تحاكم نفسك أولا، فأنت من علمني.. أنت الـــ..

قاطعه والده قائلا:

– وأين عقلك؟ ألا تفكر؟ ألم تفكر أن الأمر الصحيح هو أن تحمى عائلتك؟ الأمر الصحيح هو أن تنقذ ابنتك؟ إن المجرم ستمسكه ثانية طال الزمان أو قصر، أما ابنتك البريئة إذا ماتت فكيف ستعيدها؟

بهت إيهاب ولم يجب، فقالت ميادة:

– أنه لم يفكر بها أصلا.. كل ما يفكر فيه هو مجده الشخصي .

صرخ إيهاب:

– لا.. لقد فكرت فيها، ولكنني لم أستطع أن أعيد قاتلا إلى الشوارع، كي يقتل المزيد من الناس. لم أستطع أن أفعلها.. لقد اخترت حياة الناس على حياة ابنتي.

صاحت ميادة:

– أنت لست إلها لتختار من يحيا ومن يموت !

غطى إيهاب وجهه بكفيه، متمتما بصوت مختنق بالبكاء:

– لم أستطع.. لم أستطع..

ضرب والده بالمطرقة وقال:

-بناء على ما تقدم، فإنني أجدك مذنبا..

وصمت لحظة، ثم أكمل:

-وأحكم عليك بالحرق حيا .

صرخ إيهاب:

- لاااااااا

بينما صرخ الباقون:

- يحيا العدل!

وأسفل القفص، انفتحت الأرضية، ليجد إيهاب جحيما من النيران أسفله، والقفص يتحرك ببط نحوه، فصرخ بمنتهي الذعر، بينما صفقت نور بيديها قائلة:

- والدي سيحترق!

وراح القفص يهبط ببطء، حتى وصل النيران، فشعر إيهاب بالنار تحرق قدميه، فصرخ بمنتهى القوة و..

واستيقظ، ليجد نفسه على أريكة في شقته، والسيجارة المشتعلة تحرق أصابعه، والعرق الغزير يغمر جسده، فجذب شهيقا عميقا.. لقد كان كابوسا مرعبا للغاية.

ظل جامدا للحظات، ثم همس غير مصدق

– أنا.. أنا تحرقونني حيا! أنا بعد كل ما فعلته! ماذا ستفعلون تامر السبع إذن؟ بالتأكيد ستكرمونه، أليس كذلك؟ إنه يستحق التكريم، لأنه أراكم الوحش الذي يعيش بينكم .

نهض من مكانه، واتجه نحو صورة والده، وقف أمامها قائلا:

– هلم يا والدي، فلتكرمه وتحرقني حيا، لأنني نفذت ما علمتني إياه.

وصمت لحظة، ثم قال:

–فلتر إذا ما سأفعل بك!

وانتزع الصورة المعلقة على الحائط، ثم ألقاها أرضا بكل قوته، ليتحطم زجاجها. ثم التقط الصورة، وبدأ شقها لنصفين، ولكن توقفت يده قبل أن يكمل شقها..

– لا أستطيع !

وضع الصورة جانبا، وجلس بجوارها، وأسند رأسه إلى الجدار.

– يا إلهي! ماذا فعلت؟ ماذا فعلت بابنتي الصغيرة؟ والآن ماذا فعلت بوالدي؟....

وعبر شاشات المراقبة في مقر العنقاء، تطلع رجل المراقبة كريم إلى صورة إيهاب على إحدى الشاشات، ثم قال في سخرية:

– إذا فهذا هو ضابط الشرطة الهمام، يدخن كمدخنة، ويتحدث إلى قطع الأثاث طوال الوقت. من الأفضل أن تبدأ بنحت التمثال الخاص بي.

تطلع ياسر إلي الشاشات الكبيرة أمامه، والتي تنقل كل ما يحدث في منزل إيهاب وثريا والمدرسة، وأماكن أخرى تذهب إليها نور..

– لا عجب أن زوجته قد أخذت ابنتها وهربت.

– وأنت يا ياسر، لماذا هربت زوجتك؟

ابتسم ياسر:

– زوجتي المخبولة تظنني جاسوسا، بسبب كل السرية والغموض اللذين أحيط بهما عملي، حتى أنها هددت بالإبلاغ عنى .

– إنها مخبولة بالفعل .

وصمت لحظة تطلع خلالها للشاشات، ثم أكمل:

– ولكنها ليست مثل صاحبنا هذا.

صاح عبد الله في غضب:

– كفا عن السخرية منه.. إنه بطل بالفعل

بسخرية قال كريم:

– حقا! لا يبدو لي بطلا.

قال عبد الله:

- هذا الرجل هو من قبض على تامر السبع، الرجل الذي أرعب مصر لسنوات، واختطفوا ابنته وهددوه بقتلها لو لم يساعده على الهرب.. أتعرف بماذا أجاب؟

ودون أن ينتظر إجابة أكمل:

-لقد قال: اقتلها، فلو قتلتها ألف مرة لن أدعه يخرج ثانية.

- وهل يقول هذا الكلام عاقل؟

ثم انفجر الاثنان في الضحك، فامتقع وجه عبد الله للحظات، وزفر في ضيق قائلا:

- لن تفهما أبدا.. لن تفهما.

عاد وجلس في الخلف مغمضا عينيه، محاولا تجاهلهما، حتى قال كريم مشيرا إلى إحدى الشاشات:

- انظرا!

كانت الشاشة تنقل عيادة الدكتورة كاميليا، ونور مسترخية على الشيزلونج، والدكتورة جالسة على مقعد بجوارها قائلة:

- لقد أخبرتك من قبل.. الوحوش غير حقيقية.. ما ترينه هو عبارة عن تخيلات لا وجود لها .

كان بصر نور معلق بنقطة على الحائط خلف الدكتورة، تبدو كأنها بقعة صغيرة تكبر ببطء ..

– كل ما عليك فعله عندما تريها هو أن تغمضي عينيك، وتعدي من واحد إلى عشرة، وتقولي هذا ليس حقيقيا.. وعندما تفتحي عينك...

بترت عبارتها عندما رأت نور مغمضة عينيها وتهمس بالأرقام، فقالت:

– ما الذي تفعلينه؟

– إنني أفعل كما أخبرتنيني

– لماذا؟

– أنا أراهم الآن

– أين؟ لا يوجد شيء.. أخبرتك...

قاطعتها نور قائلة:

– خلفك .

التفت الدكتورة كاميليا للخلف قائلة:

– لا...

ولكن باقي العبارة ذاب على شفتيها، مع شهقة فزع ورعب مما رأت...

كان هناك طائر يشبه الصقر يخرج من الحائط، إلا أنه أسود اللون بالكامل، ومنقاره أكبر، ويحمل بين قدميه كرة صغيرة. فارتمت كاميليا على الأرض صارخة:

– يا إلهي! إنه حقيقي!

وقفت نور كالمنومة مغناطيسيا، والصقر يندفع نحوها، ثم ألقى الكرة الصغيرة نحو وجهها، وأكمل طريقه نحو النافذة، فحطمها وطار للخارج، بينما اصطدمت الكرة بوجه نور وذاب غلافها بسرعة، ليخرج منها غاز أزرق اللون، ما أن استنشقته حتى تهاوت فاقدة الوعي.

دخلت ميادة، لتجد نور ملقاة فاقدة الوعي، والدكتورة كاميليا تنتفض في رعب على الأرض، والنافذة محطمة..

صاح عبد الله:

– يا إلهي!.. لقد وضع العلامة، لم يعد أمامها سوى ست وثلاثين ساعة فقط.

أسرع كريم يضغط أزرار الاتصال:

– يجب أن أخبر الدكتورة سها.

بينما ضغط ياسر زر بدء العد التنازلي.

## ١٢

قالت الدكتورة سها:

– نحن الآن أيها السادة قد وصلنا المرحلة الأخيرة، أهم مرحلة في العملية كلها.. لقد تم وضع العلامة، وهذا يعنى أن أمامنا ست وثلاثين ساعة فقط.

وصمتت لحظة ثم أكملت

– إننا نقف على عتبة أهم كشف في العصر الحديث، لذلك لا يمكننا أن نحتمل أية خطأ مهما كان صغيرًا

قال قائد العمليات الميدانية:

– لقد قام رجالنا بزرع الأجهزة الخاصة داخل جسد نور حتى يمكننا مراقبة كل شيء بعد دخولها الشق. إنها ترقد مع والدها في مستشفي (...) الآن، ولقد تأكدنا من أنها ستقضي الساعات القادمة هناك، لذلك فهذا هو مكان الشق القادم فجهزنا أجهزتنا الخاصة في الغرفة المجاورة.. كل شيء تم إعداده بمنتهى الدقة .

قالت سها:

– جيد جدا، فلنباشر العمل.

وقف الجميع وهموا بالمغادرة، عندما استوقفتهم صيحة:

- لا يمكننا أن نفعل هذا

التفت الجميع نحو مصدرها؛ كان الدكتور عبد الله، الذي أكمل:

- لا يمكننا أن نترك الشق يأخذها أمام أعيننا دون أن نفعل شيئا !

صاح أحدهم:

- وماذا يمكننا أن نفعل؟ لا يمكن إيقاف الشق .

قال عبد الله:

- بل يمكننا.. هناك آلة، أعمل عليها أنا والدكتور عادل منذ فترة، يمكنها إغلاق الشق .

قال الواقفون:

- وهل اختبرت هذه الآلة بعد؟

- هل أنت متأكد أنها ستنجح؟

رد عبد الله:

- يمكننا على الأقل أن نحاول.. إنها طفلة! بالله عليكم لن نترك طفلة صغيرة تضيع أمام أعيننا!

-ولكنك لست متأكد..

ضربت سها المنضدة بقبضتها، فصمت الجميع، ثم قالت:

- دكتور عبد الله.. إننا نتعامل مع الصورة الكاملة، لا نتعامل مع أشخاص. شق الزمن أكبر من أي شخص مهما كان.

قال عبد الله

- يمكننا أن نحاول مع شخص آخر.. شخص و..

قاطعته سها قائلة:

-ولكننا لا نعرف متى سيظهر الشق ثانية، ولا إن كنا سنستطيع رصده منذ مولده هكذا ثانية. إن الشق في أيدينا الآن، فلا يمكننا أن نتركه ثم نعود لنبحث عنه لاحقا .

قال عبد الله:

- وماذا عن والدها؟ إنه يظن أنه السبب في كل ما يحدث لها.. ماذا عن والدها؟.. أترين كم حياة ستتحطم بسبب الشق؟

رد أحد الواقفين:

- أي شخص آخر سيكون له أسرة ومحبين سيتأثرون برحيله.. لو طبقنا مبدأك فمن الأفضل أن نغلق القسم ونرحل .

قالت سها:

-ألا تفكر فيما سنربحه لو نجحنا في السيطرة على شق الزمن؟ ألا تتخيل القوة التي ستكون في أيدينا؟ إنها قوة كفيلة بأن تعيدنا إلى موقعنا الطبيعي..

وصمتت لحظة ثم أكملت:

- إلى مقدمة العالم.

عقب آخر:

- هذا هو الهدف من إنشاء العنقاء من البداية، وأنت تعرف هذا جيدا منذ التحاقك بها .

تابعت سها:

- ولا أحد يستطيع أن يتخيل ما سنطوره لاحقا.. إننا ربما نستطيع تغيير الزمن نفسه!

حاول عبد الله في يأس:

- ولكن..

قاطعته سها بحزم:

- لا يوجد لكن.. فكر أن والدها نفسه كان سيضحى بها من أجل الأمن العام.. هل تعتقد أنه لن يفعل من أجل إنجاز سيضعنا في مقدمة العالم؟.. فكر بها كجندي يضحي بحياته من أجل وطنه؛ أنت عسكري سابق، هل كنت ستتردد في التضحية بحياتك من أجل وطنك؟

قال عبد الله

- أنا أختلف، أنا أملك اختياري.. أما ما تفعلينه الآن فهو إصدار حكم إعدام على طفلة .

قالت سها:

- لو كان حكم الإعدام هذا سيحي وطننا، فأنا سأفعلها .

رد عبد الله نبرة كارهة:

- لا يوجد وطن يبنى قوته بإعدام أطفاله؛ فقط قاتلة متحجرة القلب تفعل هذا.

قال عادل ملاطفا:

- الدكتور عبد الله لم يقصد أن..

رفعت سها يدها فصمت.. فقالت:

- أو حتى يقصد.. سأراعي أن انفعاله هذا نتيجة تجربته السابقة، وسأدع الأمر. ولكننا سنكمل المشروع ولن نوقفه، حتى لو اضطررنا أن نقتل ألف طفل.

وقبل أن يتكلم أحد، نهضت من مقعدها مكملة:

- انتهى الاجتماع.

نهض الجميع وبدأوا مغادرة القاعة، ونادت سها:

- دكتور عبد الله ..

اتجه عبد الله نحوها فقالت:

- هذه الطفلة ليست ابنتك، وحتى إنقاذها لن يعيد ابنتك للحياة.

تقافزت شياطين الغضب في وجه عبد الله، وبدا أنها ستقفز إلى سها فتمزقها، ولكن عادل جذبه من ذراعه قائلا:

- هيا بنا، أمامنا عمل كثير.

غادر عبد الله معه، بينما بقيت سها وحدها في الغرفة، وعاصفة من الأفكار تجتاح رأسها. لا يمكنها أن تسمح لأي شخص بإفساد الأمر.. ليس بعدما وصلوا إلى هذا الحد. ربما كانت متحجرة القلب -كما قال عبد الله- ولكن هذا لم يمنعها من تحقيق نجاحات شهد بها الجميع، الكبير قبل الصغير، الأمر الذي جعل الإدارة تختارها -مع أنها أصغر الموجودين- كرئيسة للمشروع. والآن يأتي هذا الأحمق يريد إفساد كل شيء من أجل طفلة تذكره بابنته الصغيرة التي قتلها !

إن العنقاء هي إرثها الحقيقي من والدها.. والدها الذي سخر منه الجميع في بداية الأمر، كما فعلوا معها؛ ولكن نجاحها هذا سيخرس كل لسان شكك به، ويصفع كل وجه أشاح بعيدا عنه، لذلك لن تسمح لأحد بإفساد الأمر، مهما كان الثمن.

ضغطت أحد الأزرار أمامها، ثم انتظرت للحظات.. دخل رجل ضخم الجثة في ثياب سوداء، تطلعت إليه لحظة، ثم قالت:

- إنذار عام.. لا أحد يغادر هذا المبنى بدون أمر مباشر مني.. هل تفهمني؟ أي شخص.

- كما تأمرين يا سيدتي.

أشارت له بالانصراف، فغادر مسرعا، بينما همست سها:

- اليوم يومي، ولن أسمح لأحد بإفساده.

## ١٣

اعتدل عادل في مقعده وهو يتطلع إلى عبد الله، الذي راح يتجول ذهابا وإيابا داخل معمله الخاص في مبنى العتقاء ثم قال:

- يجب أن تهدأ حتى نستطيع...

قاطعه عبد الله قائلا:

- لا يمكنني أن أسمح بإتمام هذا الأمر، لا يمكنني أن أشاهد حياة تسلب، وحيوات أخرى تتحطم؛ وأنا أستطيع أن أوقف الأمر، ولا أفعل شيئا!

- ولكن إيقاف الأمر لن يأتي بغير ثمن، وثمن باهظ أيضا.

- الأمر سيكون اختياريا.. لو قبل فسيكون خياره، أما لو لم أفعل، فسألوم نفسي طوال الحياة .

- ولكنك اشتركت في الأمر منذ البداية، بل وشاركت في إعداد الآلة التي رصدت الشق، وكنت تعلم أننا سنشاهد شخصا يأخذه الشق .

- نعم؛ ولكنى لم أكن أتصور أن أشعر بهذا الألم والمرارة عندما نصل لتلك المرحلة.. ماذا لو أن كل ما نفعله خطأ منذ البداية؟

- إنه ليس خطأ، إنه..

قاطعه عبد الله قائلا:

- إن حياة الإنسان هي الأهم، وهي الشي الوحيد الذي لا يمكن أن يعوض. ماذا لو أن هذه هي فرصتنا الأخيرة لنفعل الأمر الصحيح؟ لنحقق القسم ..

صمت عادل، فقال عبد الله:

- بالله عليك يا رجل يجب أن تساعدني.. يجب أن نفعل شيئا

- لا، لا يمكنني مساعدتك.

- ولكنك وعدتني أن تكون بجواري عندما أحتاجك!

- إن سها ستجن لو فعلت أي شيء، وقد أذهب للسجن أيضا.

- ستجن نعم، ولكنك لن تذهب للسجن.. إن العنقاء لا يمكنها الاستغناء عن علمك وخبرتك، ألا يمكنك احتمال بعض الجنون من أجل صديقك؟

أصدر عادل بعض الهمهمات غير المفهومة، فأحس عبد الله أنه أوشك على الانكسار، فأكمل:

- لقد ضاعت ابنتي بسببي، وأنا بسبب ذلك أموت في اليوم ألف مرة.. أرجوك.. لقد وعدتني أن تفعل أي شيء لمساعدتي.. لقد وعدتني !

- لمساعدتك أنت، وليس شخصا آخر .

- إن مساعدتي هي مساعدة هذا الرجل وابنته.. يجب أن يعرف أنه ليس السبب فيما يحدث لابنته.. يجب أن يعرف أن هناك طريقة لإنقاذها .أتذكر حين كاد زواجك أن ينتهي وأنا أنقذته؟ يومها أخبرتني أنك تدين لي؛ وأنا أريدك أن تردها الآن.

مضت لحظات من الصمت، ثم زفر عادل بقوة، وتلفت حوله كأنما يبحث عن أحد يراقبه، ثم قال:

- حسنا.. ماذا تريدني أن أفعل؟

## ١٤

مسحت ميادة الدموع الهاربة من عينيها بيدها، ثم غطت وجهها بكفيها، وزفرت بمنتهى القوة، ثم مسحت وجهها بيديها، والقت نظرة سريعة على ساعة يدها للمرة الثالثة خلال عشر دقائق.

لماذا تأخر إيهاب؟ لقد اتصلت به عندما تأكدت أن الأمر أكبر منها وأنها لا تعرف ماذا تفعل. لقد أكدت لها الدكتورة كاميليا أنها رأت صقرًا أسود يخرج من الحائط، ويلقى بكرة زرقاء في وجهها، ثم يحلق خارجا من النافذة.

الأمر يحدث حقا.. هناك وحوش حقيقية تطارد ابنتها، لا تعرف من أين أتوا ولا لماذا يطاردونها، ولكنهم يفعلون، وعليها أن تتعامل مع الأمر.

نهضت من مكانها، واتجهت نحو السرير الذي ترقد عليه نور، وجلست بجوارها تمسح رأسها، وتتطلع إلى الأجهزة المتصلة بجسدها، ثم أغلقت عينيها اللتين هربت دموعهما ثانية.

عادت ففتحت عينيها وهي تتذكر حينما كانت ترقد في نفس المستشفى، والأجهزة متصلة بجسدها، ولكن يومها كان أسعد أيام حياتها.. يومها رزقت بنور، أجمل شي حدث لها طوال حياتها.. يومها

كان إيهاب يقف بجوارها يمسك يدها، ويخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام. كم تفتقده تفتقد لمسته، صوته، دفئه.. إنها...

لكن نظرة لابنتها الذابلة أعادت الغضب ليتصاعد داخلها ثانية.. هو فعل هذا بها، هو من حطم كل شيء.. إنه لا يستحق...

هل تكرهه؟ لا تعرف، إنها تشعر بانفعالات كثيرة مختلفة، ولكنها واثقة أن الأمور لن تعود كما كانت ثانية.

لم تنتبه ميادة إلى الثقب الدقيق في الحائط، والكاميرا التي تمر عبره ناقلة كل ما يحدث إلى الأجهزة الموجودة في الغرفة المجاورة لها، وحولها وقف خمسة من الرجال..

- انظر إلى المنحنيات.. إنها ترتفع!

- مؤشرات الطاقة ترتفع أيضا.

- بقيت خمس ساعات فقط على فتح الشق.

## ١٥

هبط إيهاب من منزله بسرعة، متجها نحو سيارته. يشعر بالتوتر الشديد منذ اتصلت ميادة.. ماذا تعنى بأن الوحوش حقيقية؟ كيف يمكن هذا؟ لا يعرف، ولكنه متأكد أن الأمر خطير جدا، ولذلك فقط اتصلت به تطلب منه المجئ بسرعة.

قبل أن يتحرك، اقترب عبد الله من السيارة بسرعة، ومال نحو النافذة مدخلا رأسه عبرها وقال:

– تعال معي بسرعة، لو كنت تريد أن تنقذ ابنتك .

هذا ما كان ينقصه، مجنون يأتي ليعطله عن الذهاب لزوجته وابنته.. قال إيهاب في عصبية:

– ليس لدى وقت لهرائك .

مد عبد الله يده عبر الزجاج، وأمسك يده قائلا:

– اسمعني جيدا.. أنا الشخص الوحيد الذي يستطيع مساعدتك لإنقاذ ابنتك من الوحوش.

أفلت إيهاب يده من قبضته.. هذا المجنون يبدو مصمما ولن ينصـــ... ولكن مهلا!.. كيف عرف عن الوحوش التي تطارد نور؟

وقبل أن يتكلم، أخرج عبد الله بطاقة غريبة الشكل، ووضعها أمام عيني إيهاب قائلا:

– أنا الدكتور عبد الله، من كبار العلماء في مؤسسة الأبحاث السرية العنقاء، التابعة لوزارة الدفاع .

كان إيهاب قد سمع الكثير من القصص والأقوال عن العنقاء أثناء عمله، ولكن لا شيء مؤكد. تطلع إلى البطاقة للحظات.. تبدو حقيقية مثل المستعملة في الوزارة. حسنا، فليرى ما لديه.

– اركب

ركب عبد الله مسرعا ثم قال:

– انطلق بسرعة، فربما يكونون خلفنا.

– من؟

– رجال العنقاء

– لماذا يتبعوننا؟ ألست واحدا منهم؟

– أنا واحد منهم، ولكنى هربت منهم لأساعد ابنتك. اذهب بنا إلى هذا العنوان بسرعة، لا وقت للشرح الآن .

ومد يده بورقة، ولكن إيهاب دفعها جانبا قائلا:

– أنا ذاهب إلى المستشفى لأكون بجوار ابنتي .

– لا يمكننا إضاعة الوقت بالذهاب هناك.. إن ابنتك لديها أقل من خمس ساعات قبل فتح الشق.

- أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدث، ولكنني ذاهب لأكون بجوار ابنتي .

- وماذا ستفعل عند خروج الحراس؟ هل ستواجههم بنفسك؟

انتظر عبد الله للحظات، ولكن لم يجبه إيهاب، فقال:

- حسنا.. أوقف السيارة لأنزل .

- ماذا؟

- إذا كنت لن تأتي معي، فأنا أضيع وقتي. إن ذهابي للمستشفى لن يقدم شيئا.

زفر إيهاب في ضيق وتوتر، ثم ضغط فرامل السيارة قائلا:

- كما تريد.

- آسف.

- لماذ..

وقبل أن يتم الكلمة، انتفض بمنتهى العنف، عندما سرت فيه الكهرباء من الصاعق الموجود في يد عبد الله .

- أيها اللـــ..

وأظلمت الدنيا أمامه قبل أن يكمل الكلمة، فتطلع عبد الله إليه للحظة ثم قال:

- لم تترك لي خيارًا

## ١٦

- لم يحضر أبي.

نطقت نور بالعبارة، ففتحت ميادة عينيها، وتطلعت إليها للحظات قبل أن تجد ردًا:

- ليس بعد؛ ولكنه سيحضر.

اعتدلت نور جالسة في الفراش، وقالت:

- كنت أعلم أنه لن يحضر .

- لا.. إنه في الطريق .

صاحت نور:

- لا.. إنه لن يحضر، لأنه يكرهنا .

كانت ميادة تريد أن تهدئها، لذلك لم تجادلها وضمتها إليها بقوة، ومسحت شعرها قائلة:

- أنا بجوارك، ولن أتركك أبدا .

....

وعبر شاشة المراقبة، تطلعت سها إلى المشهد، ثم سألت:

- هل نعرف أين إيهاب؟

- لا يا سيدتي، لقد فقدنا أثره منذ أكثر من ساعة .

- حسنا.. أريد من فريق العمليات الميدانية أن يبحث عنه بمنتهى السرعة

تحرك الرجل نحو الخارج، في حين دخل آخر قائلا:

- الدكتور عبد الله غير موجود في غرفته!

ولأول مرة يراها العاملون تفقد برودها الأسطوري، عندما صاحت والدم يغلي في عروقها:

- كيف حدث هذا؟

تردد الرجل للحظات فصرخت:

- كيف خرج؟

- لقد قام بالعبث بكاميرات المراقبة، وجعلها تعرض بثا قديما لعمله في المعمل، ثم تسلق عبر فتحات التهوية إلى خارج الطابق:

وبمزيد من الصراخ:

- أريد فريقا من رجال العمليات الخاصة لتعقبه وإحضاره لي الآن.. لا يهمني حيا أو ميتا؛ المهم أن تحضروه بمنتهي السرعة.. هل تفهمني؟

- نعم يا سيدتي.

- إذًا فلماذا مازلت هنا؟

أسرع الرجل يغادر الغرفة، فقالت لأحد الواقفين بجوارها:

- أبلغ نفس الأمر لرجالنا في المستشفى.

ثم ضربت الحائط بقبضتها مكملة:

- لو أفسد هذا الأمر، فأقسم أن أجعله يتمنى الموت فلا يجده.

## ١٧

كان الظلام يخيم على كل شيء، وإيهاب يشعر أنه ضائع بداخله، لا يعرف إلى أين يتجه .

وفجأة سمع صراخ نور..

– انقذني يا أبي.. انقذني من الوحش

تلفت إيهاب حوله، ولكنه لم يرها فصرخ:

– نور أين أنت؟

– أنا ..

صوتها يبتعد..

– هنااااااااا

– نوووووور

ثم انتفض جسده كمن صعقته الكهرباء، وفتح عينيه، فاخترقتهما أسهم الضوء، فأغمضهما ثانية لثوان ثم فتحهما. كان مقيدًا في مقعد ضخم، وأمامه الدكتور عبد الله يعمل على آلة ما، فتطلع إليه للحظات ثم صاح:

- فك وثاقي الآن أيها اللعين.

قال عبد الله:

- اهدأ يا سيد إيهاب، وأرجو أن تعذرني على طريقة إحضارك لهنا، ولكنها الطريقة الوحيدة لإنقاذ ابنتك.

- الطريقة الوحيدة لإنقاذ ابنتي هي تقييدي هنا!

- اهدأ فقط، وسأخبرك بكل شيء .

حاول إيهاب التخلص من قيوده أكثر من مرة، ولكن بلا فائدة. ليس أمامه حل إذًا سوى الاستماع لعبد الله..

- حسنا، أخبرني ما لديك .

- في البداية، يجب أن تعرف أن كل ما حدث لابنتك ليس بسببك، ولكن بسبب شق زمني .

تساءل إيهاب:

- شق زمني!.. ما هذا؟

صمت عبد الله للحظات ثم قال:

- شق الزمن هو التغير الذي يُحدث في طاقة مجرى الزمن تغيرًا، يجعل مؤشرات الطاقة تقفز إلى أعلى حد، ثم ترتفع منحنيات الزمن من المستوى الأول إلى المستوى السابع، ومنحنيات المستوى الثاني إلى التا...

بتر عبارته عندما لاحظ عدم الفهم على وجه إيهاب، وبحث في ذهنه عن تقريب للصورة..

– هل سألت نفسك يوما كيف يمر الزمن؟ لماذا نتحرك دوما للأمام؟ لماذا لا نعود للوراء؟ لماذا لا تستيقظ فتجد الغد هو البارحة؟

لم يجب إيهاب، فأكمل عبد الله:

–سأحاول تقريب الصورة.. أريدك أن تتخيل أن هناك شيئا ضخما يتحرك خلفنا، ويدفعنا للأمام دائما، ويمنعنا من العودة.. شيئا مثل جدار ضخم.

– جدار الزمن!

– ليس جدارا بالمعنى المفهوم.. أخبرتك أنني أحاول تقريب الصورة. والآن أريدك أن تتخيل حدوث شقوق في هذا الجدار، ماذا سيحدث عندها؟

– سنعود للوراء؟

– الحق أنه لا أحد يعلم ما يحدث بالضبط، ولكن ما نعلمه أن حياة هذا الشخص تنقلب رأسا على عقب، تطارده الكوابيس، ثم هلاوس سمعية وبصرية، ثم يخرج الصقر الأسود ويضع العلامة عـــ..

قاطعه إيهاب قائلا:

– ميادة أخبرتني عن الصقر الذي خرج من الحائط وألقى شيئا ما في وجه نور!

قال عبد الله:

– الصقر يقوم بوضع العلامة على الشخص المقصود، مما يعني أن أمامه ست وثلاثين ساعة قبل خروج الحراس ليأخذوه

– أي حراس؟ ويأخذوه إلى أين؟

– حراس مجرى الزمن يعبرون الشقوق لأخذ الشخص، ثم يعودون ويغلقون الشقوق خلفهم.

– وماذا يحدث للشخص الذي أخذوه؟

– لا أحد يعرف.. ولكن العنقاء تأمل في معرفة ذلك مع ابنتك، فقد قاموا بتثبيت أجهزة داخل جسدها، حتى يتمكنوا من مراقبتها بعد دخولها الشق.

بصق إيهاب ثم صرخ:

– عليكم اللعنة! تجرون تجاربكم على الأطفال!.. أقسم أن..

قاطعه عبد الله قائلا

– لم نجر أية تجارب على أحد.. لا أحد يتحكم في الشق.

– ولماذا لم تخبرونا منذ البداية؟ لماذا لم تساعدوها؟

– إننا نتابع شقوق الزمن منذ ثلاث سنوات، ولكننا دائما كنا نرصد الشق قبل نهايته بقليل. إن ابنتك هي أول مرة نرصده منذ بدايته، لذلك أردنا أن نكمل الأمر للنهاية، لنعرف كل ما يمكننا

معرفته عن الشق. لا أحد يمكنه تخيل القوة التي ستكون بين أيدينا لو سيطرنا على شق الزمن.. إنها قوة بلا حدود

- ولماذا تساعدني أنت؟

- لأنني أعتقد أن الأمر الصحيح هو أن ننقذ ابنتك؛ أما الشق، فيمكن تعويضه.

- ماذا؟ الأمر الصحيح كي..

قاطعه عبد الله قائلا:

- إننا نعرف كل شيء عنك، والآن هل تصدقني؟

- لا أعرف، الأمر يبدو كأفلام الخيال العلمي.

وضع عبد الله صورة للدكتور علام أمام وجهه قائلا:

- حسنا هل تذكر هذا الرجل؟

- إنه أستاذ الكيمياء، الذي اختفى العام الماضي وأصاب أحد المعيدين الجنون، فراح يهذى عن حشرات عملاقة أخذته إلى داخل الجدار.

- حسنا.. ولو افترضنا جنون المعيد، فلدينا أقوال العاملين إن الدكتور دخل المعمل ولم يره أحد يغادره، وعندما دخلوا كان قد اختفى، فأين ذهب؟

- ربما..

قاطعه عبد الله قائلا، وهو يقرب منه صورة أخرى..

– والآن هذه صورة للمعيد، التقطت بالأمس. انظر إلى الجراح على جسده!.. لم تلتئم على الرغم من مرور عام على الحادث.

اتجه نحو أحد الأجهزة، وضغط أزراره للحظات، فظهرت على الشاشة صورة لحجرة المستشفى، حيث ترقد نور، ووالدها جالسة على الفراش بجوارها. قال عبد الله:

– لقد نجحت في اختراق كاميرات مراقبة العنقاء، وأنا أنقل لك الآن ما يحدث.

ثم ضغط أزرارا أخرى، فانقسمت الشاشة لنصفين، وعلى النصف الآخر ظهرت صورة الحجرة المجاورة، مليئة بالأجهزة ورجال العنقاء يعملون عليها. قال إيهاب:

– وماذا سنفعل؟

– هناك آلة صممتها أنا والدكتور عادل، أعتقد أنها قادرة على إغلاق الشق.

– تعتقد؟

– نعم، فالآلة لم تختبر بعد، واحتمالات نجاحها ستون بالمائة فقط.

– فلتجربها، ماذا ستخسر؟

– ليس الأمر بهذه السهولة.. فلكي تقوم الآلة بإغلاق الشق، فإننا سنحتاج إلى شخص يحمل نفس البصمة الوراثية للشخص الذي سيأخذه الشق.

- وماذا سيحدث لهذا الشخص؟

- سيموت.

وصمت لحظة ثم أضاف:

- للدقة.. سيحرق حيا.

انتفض إيهاب في ذعر..

- ماذا؟ يحرق حيا!

- نعم.. الآلة ستطلق جسده عبر الفراغ الزمكاني، مما سينتج عنه حرق جسده حيا، ثم تقوم بتوجيه الطاقة الناتجة لغلق الشق. لقد فكرت في والدها، ولكني عرفت أنها ليس لديها القوة لتفعلها؛ لذلك أتيت إليك، والآن أنت تعرف كل شيء، والخيار خيارك. ولكن يجب أن تقرر سريعا، فابنتك لم يعد لديها الكثير من الوقت.

نهض عبد الله، وفك وثاق إيهاب هامسا:

- افعل الأمر الصحيح.

ثم تراجع ليجلس على مقعد في الخلف.

لم ينهض إيهاب من على المقعد.. رأسه مشتعل بعشرات الأفكار.. ماذا يفعل؟ أي أمر هو الصحيح؟ إن الأمر غاية في التعقيد.. شق سيمنح وطنه قوة لا يعرفها أحد، ولكن هذا يتطلب منه التضحية بابنته للمرة الثانية، وهذه المرة أسوء وأخطر، فلا أحد يعرف ماذا سيحدث لها.. لا أحد يعرف ماذا يحدث خلف الجدار!

والحل الآخر هو التضحية بحياته، وبأبشع وسيلة ممكنة:حرقه حيا. إنه يقشعر لمجرد ذكر الكلمة!

ماذا يفعل؟ ماذا يفعل؟ أين الأمر الصحيح؟

وماذا لو أن عبد الله هذا يكذب؟ ماذا لو أنه مجنون؟ ماذا لو كان مخطئا؟ ماذا لو... ماذا لو.....؟

ماذا يفعل؟

تك تك تك

عقارب الساعة أصابها الجنون، ونظرات عبد الله تستحثه ليختار، وكأن الاختيار سهلا !

رفع رأسه لأعلى، وصرخ بأعلى صوته:

– ماذا تكون أيها الأمر الصحيح؟

## ١٧

- ما هذا الصوت؟

قالتها نور، فأصخت ميادة السمع للحظات، ثم سألتها في قلق:

-أي صوت؟ أنا لا أسمع شيئا

أنصتت نور.. ولكن الصوت اختفى فخيم الصمت للدقائق حتى عاد الصوت أكثر قوة فقالت ميادة هذه المرة..

- ما هذا الصوت؟

برعب ممتزج بلهفة قالت نور:

- أنت تسمعينه؟

نهضت ميادة، وتلفتت حولها فما وجدت إجابة.. ثم توقف بصرها المذعور عند نقاط سوداء صغيرة تنتشر، لتغطي الحائط بأكمله، ثم تنمو بسرعة، حتى أصبحت في حجم العملات المعدنية

جذبت نور من ذراعها قائلة:

- لنخرج من هنا

جرت بها نحو الباب وجذبته بقوة؛ ولكنه لم ينفتح.. أصبح الأزيز أكثر قوة، فضربت الباب بقبضتيها صارخة:

- افتحوا الباب.. النجدة!

ومن البقع السوداء، بدأت الحشرات حارسة الشق في التدفق، حتى ملأت فراغ الغرفة، وراحت تدور داخلها للحظات، ثم انقضت على نور!

## ١٨

– إنه هنا في هذه البناية

هبط الفريق من السيارة وأسرعوا نحو المدخل، ومعهم الدكتورة سها تصيح:

– بسرعة.. يجب أن نقبض عليه قبل أن يفسد الأمر.

تسابق الجميع على السلم، حتى وصلوا إلى الشقة، فحطموا بابها ودخلوا. توقفوا للحظات، ثم أسرعوا نحو الغرفة المضاءة.

كان إيهاب جالسًا على مقعد غريب الشكل، وعشرات الأسلاك متصلة برأسه وجسده، وعبد الله واقف بجواره يضغط على الأزرار، ويتحدث مع شخص آخر عبر سماعة في أذنه

– قم بالتفعيل الآن يا عادل.

صرخت سها:

– ابتعد عن الآلة!

أكمل عبد الله عمله، فصرخت ثانية:

– ابتعد أو أطلق النار عليك.

ولما كان رد الفعل مزيدا من التجاهل، صرخت في جنون:

- أطلق النار عليه

تردد الواقفون، فاختطفت مسدس من حزام الواقف بجوارها، ثم أطلقت رصاصتين أصابتا عبد الله في صدره صارخة:

- أنت أردت هذا.

انتزعت الرصاصتان عبد الله من مكانه، وضربته بالحائط بمنتهى القوة، والدماء تسيل من صدره لتسحب حياته معها..

ولكن لا.. لا يمكن أن يتوقف، مازال هناك زر أخير يجب أن يضغطه، حتى يتمكن عادل من تفعيل الآلة.

- لقد حذرتك، ولكنك أردت هذا.

استجمع قوته كلها لينهض..

- ماذا...

وبكل قوته هوى على الزر الأخير، ثم تهاوى بجواره.

تألق جسد إيهاب، كما لو أن في داخله ألف مصباح، فغطت سها عينيها بيدها، وتراجعت صائحة:

- اللعين فعلها.. ليخرج الجميع من هنا.

وزاد تألق جسد إيهاب حتى أخفاه الضوء، ثم تلاشى جسده دفعة واحدة.

## ١٩

كان صراخ نور وميادة وضرباتهم على الجدران الممتزج مع أزيز الحشرات يصنع سيمفونية مرعبة للغاية، حتى يئستا من قدوم المساعدة، فانهارت نور بجوار الحائط، بينما وقفت ميادة أمامها كدرع يحجبها بجسدها، وهي تضرب الهواء بيدها في استماتة، لإبعاد الحشرات أو الكائنات. ولكن الحشرات انقضت عليها تعضها في ذراعيها، فصرخت:

– أين أنت يا إيهاب؟

وفجأة تحطمت نافذة الحجرة، ودخلت سحابة صفراء اللون تشبه رمال الخماسين، فأطلقت الحشرات أزيزا غاضبا، وحاولت أن تحلق مبتعدة، ولكن السحابة انقضت عليها وأحاطت بها تماما فاستحال أزيزها أشبه بالصراخ. ثم اتجهت السحابة بالحشرات نحو الجدار، الذي استحال أسود اللون بالكامل، ثم عبرت بها الجدار تدريجيا، حتى اختفى اللون الأسود وعاد الجدار كما كان.

شهقت ميادة..

– نور.. نور

ولكن دون إجابة!

## ٢٠

تحركت ميادة للأمام والخلف على كرسي هزاز في شرفة المنزل، وهي تتطلع إلي نور المستغرقة في اللعب بدمية صغيرة على الأرض بجوارها. مر شهاب في السماء، فقفزت نور من مكانها، وأشارت نحوه قائلة:

- انظري!.. نجم ذو ذيل!

ابتسمت ميادة:

- تمنّي أمنية، ولكن لا تخبري بها أحدًا.

أغمضت نور عينيها وهمست:

- أتمنى أن يحبني أبي.

تمت بحمد الله

# مدينة النور



(١)

٢٠٢٢ ، إنشاء مدينة (يوتوبيا) في أعماق المحيط.. على يد جماعة (فرسان النور) معلنين أنهم أنشأوها لتكون الضوء الأخير لإرشاد البشرية الغارقة في الظلام، وهناك شرط وحيد.. كل من يعيش في (يوتوبيا) لن يرى الشمس ثانية!

٢٠٢٥ ، زلزال عنيف يضرب (يوتوبيا)، فيدمر نصف المدينة، ويقتل أكثر من نصف السكان، ويتم إجلاء الباقيين وإغلاق المدينة..

٢٠٣٥، إعادة إنشاء (يوتوبيا) على يد شركة فينوس العالمية، وتغيير اسمها لـــ (المدينة البيضاء).. تعديل الشرط، بحيث يمنح المقيم حق الخروج والعودة لأول خمس سنوات من إقامته.

٢٠٤٦، زلزال مدمر آخر يضرب (المدينة البيضاء)، فيدمر جزء كبير منها، وعدد قليل من الضحايا هذه المرة، لفعالية إجراءات الطوارئ.. ثم إغلاق المدينة.

٢٠٦١، إعادة إنشاء المدينة على يد شركة النور العالمية، وتسميتها مدينة النور.

لم يكن التغيير في الاسم فقط، ولكن في كل شيء.. أصبح الدخول والخروج للجميع، وأنشئ قسم كامل للرحلات والإجازات والزيارات.

مدينة النور أصبحت مؤسسة على أحدث طراز، ومزودة بكل وسائل الترفيه والراحة.

وهناك غلاف قوي من الطاقة البنفسجية يحيط بالمدينة الراقدة في قاع المحيط. وهي مقسمة إلى عدة أقسام:القسم (أ)، وهو خاص بالمقيمين الدائمين.. والقسم (ب)، وهو للزوار. وكل قسم يحتوى على مبانٍ مصممة على أحدث طرق البناء، والطرق ممتدة بين المباني، جوانبها مزينة بالزهور الملونة المختلفة.

بنايات القسم (أ) تبدو مثل توائم متماثلة، تتغير ألوانها تلقائيا كل ثلاثة أيام، وكل بناية مكونة من مائة طابق، والطابق من خمسة شقق، وأماكن الطوابق والشقق تتغير باستمرار كل يومين، مثل ألعاب الباذل.

هناك أيضا بنايات تسمى بنايات الشخص الواحد، طوابقها مقسمة إلى غرف مستقلة، كل غرفة مخصصة لإقامة شخص واحد، وتتغير أماكنها باستمرار أيضا.

أما القسم (ب)، فهو عبارة عن عدد من الفنادق الفاخرة.

وهناك عدد من المتاحف ودور الاحتفال والسينما ومدينة ملاهي و..

دفعت الخادمة البدينة عربتها أمامها في ممر أحد بنايات القسم (أ) في مدينة النور، وهي تصدر لحنا منغما من بين شفتيها. توقفت أمام الغرفة( أ–ج–١٥).. طرقت الباب طرقات خفيفة، ثم انتظرت للحظات. ولأنها لم تحصل على إجابة، أخرجت بطاقة الكترونية من جيبها، ومررتها في قفل الباب، فأضاء مصباح اخضر صغير، ثم أصدر القفل تكة خافتة، وانفتح الباب.

دفعته، وخطت للداخل، دافعة العربة أمامها و.. مات اللحن على شفتيها، وتجمدت مكانها، وهي تحدق في السيد عدنان الملقى على الأرض هامدا!

– سيد عدنان..سيد عدنان!

تناديه وهي تسرع نحوه. كان ساقطا على وجهه، فقلبته. شهقت عندما قابلتها عيناه الجاحظة ووجهه المحمر المنتفخ، والزبد السائل من شدقيه.. إن هذا يعني شيئا واحدا.

لم تضع الوقت، حلت ساعة يده الغالية ووضعتها في جيبها بسرعة، ثم قفزت نحو زر الطوارئ فضغطته.

## (٢)

قسم الشرطة التابع لمدينة النور

القسم غير موجود داخل المدينة، وإنما موجود على أقرب نقطة للمدينة من اليابسة. تم إنشاؤه بهذه الطريقة، بعد مفاوضات طويلة بين السلطات وإدارة المدينة.

كان الضباط جالسين داخل قاعة واسعة داخل المبنى، مستغرقين في مراقبة مباراة شطرنج بين الرائد جلال والدكتور حازم الطبيب الشرعي الجديد.

هناك هاتف يسبح داخل كرة زجاجية معلقة في الهواء، لتتصل بهم المدينة في حالة الطوارئ؛ ولكن هذا الهاتف لم يرن منذ جاءوا إلى هنا منذ ستة أشهر.

الرائد جلال في أواخر الثلاثينيات من عمره طويل القامة رياضي الجسد وسيم إلي حد ما، بينما الدكتور حازم في الخامسة والثلاثين من عمره قصير القامة نحيل الجسد، عيناه الضيقتان تنطقان بالخبث الشديد؛ وعلى الرغم من أنه وافد جديد، إلا إنه امتزج معهم بسرعة، لخفة روحه وسرعة بديهته.

كانت المباراة مستمرة منذ فترة طويلة، لم يحركا خلالها إلا حركات قليلة، وأعين الواقفين ترميهم بمزيج من الانبهار والملل. زفر النقيب حامد قائلا:

– لم ينقل أحدهم نقلة منذ نصف ساعة.. إن شطرنج الأموات هذا يثير جنوني.

حازم يبدو كصورة لجلال، أصغر سنا وأقل طولا ووسامة. غمزه أحد الواقفين:

– تقول هذا لأنك استغرقت ثلاث دقائق فقط قبل أن تخرج مهزوما.

رمقه حامد بنظرة نارية أخرسته، ثم عاد يتابع المباراة، بينما نقل جلال وزيره، ثم ابتسم قائلا:

– انتهى

تأمل حازم الموقف للحظة، ثم ابتسم. وأسقط ملكه بيده قائلا:

– انتهى بالفعل.

قال حامد:

– واحد آخر يوارى التراب.

جادل حازم قائلا:

– لقد أوشكت على هزيمتك هذه المرة.

فابتسم جلال قائلا:

- هذه هي المرة الرابعة التي توشك فيها على هزيمتي. أتمنى أن تفعلها مرة من باب التغيير.

ابتسم المراقبون، فدق جلال على اللوحة بمعنى هل من منافس، فلم يتقدم أحد، فنهض من مقعده قائلا:

- سأترككم لتكملوا تدريبكم واذهب لـــ..

بتر عبارته عندما علا رنين الهاتف الخاص، وانتفض الجميع وهم يلتفتون نحوه، غير مصدقين أنه رن أخيرا. أسرع جلال ومد يده عبر الكرة الزجاجية التي تموّج جدارها، ليتناول الهاتف ويضعه على أذنه. دارت محادثة قصيرة، ثم أعاد بعدها الهاتف مكانه وقال:

- يبدو أننا سنذهب أخيرا لمدينة النور.

(٣)

انطلقت الغواصة النووية الصغيرة فجر، تشق المياه كسهم عملاق، متجهة نحو مدينة النور، وفي داخلها يجلس الرائد جلال والنقيب حامد والدكتور حازم في غرفة القيادة، وباقي فريق التحقيق في الخلف.

قال حامد:

- جريمة قتل في مدينة النور.. يصعب التصديق أنها مجرد قطعة أخرى من الظلام.

رد حازم:

- ولم لا؟ إنهم في النهاية بشر مثلنا..

ومال نحوه مكملا:

- أم إنك تصدق ما يدعونه أنها المدينة الفاضلة؟

علق جلال:

- أنت لم تسمع البلاغ، لقد كاد الرجل يبكي وهو يبلغ عن الجريمة..

ثم راح يقلد صوته ساخرا..

- أريد.. أن... أبلغ عن.. جريمة... قتل!

ثم علا ضحكه، فقال حامد:

- لم يصدق أن يقتل سيد مهذب سيدًا مهذبًا آخر في المدينة المثالية.

رد حازم متصنعا الامتعاض:

- هذه الأشياء يفعلها الرعاع على السطح.

هز حامد رأسه قائلا:

- أظن أن والدي كان محقا.. لقد أخبرني أن هذه المدينة تحوي أسوا البشر على الإطلاق.

ابتسم جلال قائلا:

- لعله كان غيورا لأنه لم يملك المال اللازم للإقامة في المدينة

بينما تابع حامد وكأنه لم يسمعه:

- لقد كانوا يطلقون عليها...

وصمت لحظة وهو يحك رأسه مفكرا ثم قال:

- مدينة الخطيئة

قال حازم:

- وهل تصدق كل ما يخبرك به والدك؟

قال حامد:

- بالتأكيد

ابتسم حازم قائلا:

- ألم يخبرك والدك أنك لا تصلح ضابط شرطة؟

ظهر الغضب على وجه حامد، فقال جلال:

- لم يكن يعنيها بالتأكيد

قال حامد:

- لقد أرادني أن أعمل في وظيفة لها دخل أكبر

قال حازم:

- بالتأكيد

بينما ابتسم جلال..

- حتى يمكنه الإقامة في المدينة

وعلا ضحك الاثنين، بينما احتقن وجه حامد، لكن قاطعهم ارتفع صوت قائد الغواصة:

- وصلنا إلى المدينة أيها السادة.

تطلع حامد إلى المدينة الشبيهة بلؤلؤة عملاقة راقدة في أعماق المحيط، والأضواء الملونة القادمة من الداخل ترسم مع الغلاف البنفسجي لوحة مجسمة للجمال، ثم قال في انبهار:

- إنها رائعة للغاية!.. إن الصور لا تظهر هذا السحر

همس حازم:

- لم يكن والده فقط من يحلم بها.

اقتربت الغواصة من غلاف الطاقة البنفسجية، فتموج وابتلعها إلى الداخل، ثم تصلب ثانية؛ بينما حلقت الغواصة في الداخل لثوان، ثم هبطت على منصة خاصة داخل غرفة الاستقبال.

غادر فريق التحقيق الغواصة، ليجدوا في استقبالهم ثلاثة رجال، أحدهم يحمل صينية ذهبية، عليها أكواب الشراب يقدمه للقادمين.

اقترب جلال منهم قائلا:

- الرائد جلال..

وقطع حديثه وهو يحدق في أحد الواقفين للحظات، ثم قال:

- محمود!

شعر جلال بالغضب يتفجر في أعماقه ولكنه كتمه داخله محمود محطة الفشل الوحيدة في حياته...

اقترب محمود منه قائلا:

- مرحبا بك في مدينة النور.

محمود في أواخر الثلاثينيات من عمره، متوسط الطول نحيل الجسد أسمر البشرة. تطلع حامد إليه لحظات، ثم قال:

- لقد كانت كذلك حتى رأينا وجهك

تجاهله محمود قائلا:

– أنا رئيس الأمن هنا.

ثم أشار نحو الرجل الآخر قائلا:

– السيد صبحي كامل مدير المدينة.

ألقى حازم بذور السخرية..

– رئيس جمهورية النور.

فسقاها حامد:

– وهل أتيت بالانتخاب أم بالتزوير؟

احمر وجه محمود، وأوشك على الانفجار. ولكن صبحي أشار له، فسكن مكانه ثم قال:

– لقد أبقينا كل شيء كما هو، فقد أخبرني محمود انك لا تحب أن يلمس أحد مسارح جرائمك.

ابتسم جلال..

– مسارح جرائمك!.. تجعل الأمر يبدو كأني من يرتكب الجرائم.

أردف صبحي:

– محمود سيرافقكم ويقدم لكم كل ما تحتاجون. أما أنا فاعذروني، فلدي الكثير من الأعمال.

أشار محمود نحو غرفة صغيرة مكعبة الشكل، قال:

- تفضلوا، هذا الناقل سيأخذنا إلى الغرفة (أ-ج-١٥)

دخل الجميع، ووقفوا صامتين، بينما انطلق الناقل عبر المدينة، حتى توقف أمام الغرفة ( أ-ج-١٥ )، فخرج الجميع ودخلوا الغرفة، وبدأ رجال المعمل الجنائي عملهم، بينما قال محمود:

- لقد أعددنا كل ما قد تحتاجونه

وقبل أن يرد جلال، قاده هو وحامد نحو ركن في الغرفة، وحرك يده في الهواء كما يفعل الحواة، فتكونت شاشة صغيرة على الحائط، وأكمل:

- كل المعلومات اللازمة تجدها هنا.

ثم ظهر مقعدان، فجلس جلال وحامد عليهما، بينما بدا العرض.

في البداية، ظهر شعار شركة النور مؤسسة المدينة، وظل لعدة ثوان، وتحته عبارة:

"النور.. معا لبناء المستقبل"

قال حامد:

- لو كان هذا العرض لجعلنا نشترك فأنت واهم

كان العرض تفاعليا، يتوقف عندما يتكلم أحد ويستأنف إن صمتوا. ابتسم محمود، وأشار له أن يتابع، حيث ظهرت صورة عدنان على الشاشة، ثم راحت المعلومات تصطف تحتها، وصوت معدني رتيب يقرأها.

– عدنان عز الدين.. ٥٦ عاما.. أحد كبار المستشارين لشركة زيوس العالمية، يقيم في الغرفة (أ–ج–١٥)

تطلع حامد إلى اتساع وفخامة الغرفة حوله، وغمغم:

– تسمون هذه غرفة، فكيف تكون القصور إذاً!

أكمل الصوت:

– جاء السيد عدنان إلى المدينة منذ خمس سنوات، ولحقت به زوجته السيدة منال وابنه منير منذ سنتين..

ظهرت صورة منال على الشاشة..

– منال عز الدين، ٤٥ عاما، لا تعمل، تقيم في الغرفة ( أ–ج–٢٧)

ثم صورة منير ابنه..

– منير عدنان عز الدين، ١٧ عاما، لا يعمل، يقيم في الغرفة ( أ–ج–١٧)

قال حامد:

– وهل كان السيد عدنان يخرج أم بقي هنا كل هذه المدة؟

لم يجبه أحد، فصمت، بينما عاد الصوت يتابع:

–كان السيد عدنان يخرج مرتين أو ثلاث شهريا، والمرة تستغرق يومين إلى أربعة أيام على الأكثر، وكان يتابع باقي أعماله من هنا..

- زوجته السيدة منال لم تخرج منذ جاءت هنا..

- ابنه -السيد منير- في عامه الأول كان يخرج مرة أو مرتين شهريا، أما طوال العام الثاني فلم يخرج نهائيا.

- السيد عدنان كان اجتماعيا محبوبا، يقضى أغلب وقته في قاعات الاستقبال والترفيه، وأحيانا السينما.. وكان يجالس الجميع، لم يكن هناك شخص معين يقضي معه أغلب وقته.

- أما السيدة منال، فكانت انطوائية، تقضى أغلب وقتها في غرفتها أو في المكتبة، ولم تكن تتحدث للسيد عدنان إلا قليلا.

- أما السيد منير، فكان يكره المكان هنا، ويريد المغادرة. ولكن والداه أبقياه رغما عنه، لأنه لم يبلغ السن القانوني بعد.

ثم كتب على الشاشة:

"يومان قبل الجريمة"

- جاء السيد عزام عضو مجلس إدارة شركة زيوس إلى المدينة، والتقى بالسيد عدنان مرة واحدة في اليوم التالي.

"يوم قبل الجريمة"

- جاء السيد شاكر، أحد المدراء التنفيذيين لشركة زيوس إلى هنا، والتقى بالسيد عدنان في غرفته، ومن الواضح أنهما تشاجرا.

وظهرت صورة المدير شاكر وهو يدخل غرفة عدنان، ثم تسارع العرض ليظهره وهو خارج والغضب على وجهه، ثم وقف عند الباب يصيح:

- سأجعلك تندم ســـ..

ثم عاد إلى الداخل مرة أخرى لمدة دقائق، ثم خرج غاضبا.. وتغيرت الصورة وأكمل الصوت:

- وفي المساء، جاء السيد رضا مساعد السيد عدنان والتقى به في غرفته.

ظهرت صورة رضا وهو يدخل الغرفة، ومعه حقيبة جلدية صغيرة، ثم تسارعت الصورة لتظهره وهو خارج بدون الحقيبة.

"الجريمة"

- اكتشفت الجثة عاملة التنظيف صباح اليوم، ثم جاءت الدكتورة أيتن وأعلنت الوفاة، وأنها نتيجة السم، وبالتحديد سم المنيفريد. ثم حددت وقت الوفاة الساعة الثالثة صباحا، وسم المنيفريد يحتاج إلى سبع ساعات ليبدأ عمله، لذلك فالسيد عدنان قد تناوله مع طعام العشاء، الذي تناوله في غرفته بالأمس.

- وبالفعل، تم فحص بقايا الطعام، ووجدنا بقايا السم في طبق الحساء.

- تم فحص كل شيء في المطبخ وغرف الطهاة ومقدمي الطعام.. ولكن لم نجد أي شيء.

ثم ظهرت صورة توضح وضع الطعام في أطباقه في المطبخ، ثم دفع العاملة للعربة حتى غرفة عدنان، ثم خروج عدنان ليأخذ العربة ويغلق الباب..

- وهذا المقطع يوضح الطعام منذ خروجه من المطبخ حتى وصوله إلى غرفة السيد عدنان، ولم يلمسه أحد، ولم يدخل أحد الغرفة حتى صباح اليوم. لذلك، فالسؤال هنا بالإضافة إلى من فعلها، هو متى وجد الفاعل الفرصة ليضع السم للسيد عدنان؟

ثم ظهر شعار الشركة مرة ثانية، ثم أظلمت الشاشة، فهتف حامد متصنعا الانبهار:

- رائع..رائع للغاية

وصمت لحظة ثم أكمل..

- ولكنني أظن أن حلقات المحقق سنارك أفضل.

نهض من مقعده، واتجه نحو محمود مكملا:

- هل تعرف لماذا؟

لم يجب محمود، فقال حازم:

- المحقق سنارك يكتشف القاتل في النهاية، أما أنتم..

ومط شفتيه متصنعا الأسف، فأسرع محمود يصيح في حدة:

- لم نأت إليكم طلبا للمساعدة، ولكن القانون هو ما يفرض علينا الاتصال بكم، ولو تركتمونا لاكتشفنا القاتل بأنفسنا.

رد حامد متهكما:

- حقا!.. ولماذا...

قاطعة جلال قائلا في صرامة:

- كف عن الهراء. لدينا عمل نقوم به.

ثم التفت نحو حازم مكملا:

- والآن ماذا لدينا؟

قال حازم:

- الأمر بالضبط كما قال محمود

ابتسم محمود في زهو، بينما أكمل حازم:

- لقد عثرنا على آثار السم في جسده وفي طبق الحساء.

قال حامد:

- هل من الممكن أن يكون انتحر؟

قال حازم:

- لا.. الأمر مستبعد تماما. فأولا الملف النفسي للسيد عدنان يؤكد أنه لم يكن من النوع الانتحاري، ثانيا لا احد ينتحر بعقار المنيفريد، إنهم يلقبونه في الطب بالسالخ، ففي البداية يصاب الضحية بشلل تام، ثم تأتي الوفاة مصحوبة بالآم تفوق آلام السلخ حيا.

ابتسم محمود قائلا

- الدكتورة أيتن أكدت هذا أيضا.

همس حامد:

- آه.. فريق العباقرة

رمقه محمود بنظرة، لو كانت سهما لاخترقه؛ بينما أكمل حازم:

- لا يوجد أي شيء غريب في الغرفة.. البصمات الموجودة أغلبها للسيد عدنان وللعاملين هنا، ولقد وجدت الحقيبة التي أحضرها مساعده، كانت تحتوي على وحدة تخزين معلومات مشفرة بنوع خاص جدا من التشفير، ولكن لدي برنامج يعمل على كسره، وإن كان سيستغرق بعض الوقت.

مسح جلال بطن يده اليسرى بيده اليمني، فتكونت شاشة صغيرة بين يديه وقال:

- لنرى ماذا تقول قواعد بياناتنا عن السيد عدنان عز الدين

ارتسم شعار وزارة الداخلية على الشاشة، فوضع جلال إبهام يده اليمنى عليها، فتم التأكد من هويته في لحظات، ثم ظهرت شاشة سوداء بداخلها مربع أبيض، مرر أصبعه عليه، فكتب اسم عدنان، فظهرت صورته، ثم بدأ البحث الذي استمر لخمسة أجزاء من الثانية، وظهرت النتائج

- عدنان عز الدين ٥٦ عاما أحد ذوي المعاطف البنية.

سعل حازم، فصمت جلال للحظات، ثم أكمل:

– ويعمل حاليا مستشارا لشركة زيوس العالمية، ويقيم في مدينة النور منذ خمس سنوات.

ثم توالت معلومات أخرى عنه وعن زوجته وابنه

قال حامد:

– أحد ذوي المعاطف البنية!.. ما هذا؟

سعل حازم ثانية، بينما قال جلال:

– يبدو أنك تعيش في كوكب آخر. كيف لا تعرف ذوي المعاطف البنية؟

سعل حازم للمرة الثالثة، فقال جلال:

– يبدو أن سيرة ذوي المعاطف البنية تصيبك بالسعال.

ابتسم حازم ولم يرد، فالتفت جلال نحو حامد قائلا:

– إنهم فيروسات الشركات، يدخلون الشركة ثم يعرفون كل شيء عنها، ثم يقومون ببيعها للمنافسين. وأنا لا أقصد بيع أسرار تجعل الشركة تخسر عقدا أو اثنين، ولكن بيع الشركة بالكامل، على النحو الذي يؤدى إلى إفلاس الشركة وإغلاقها.

قال حازم:

– إنهم أشخاص بمواصفات خاصة ذكاء غير عادي، وكاريزما عالية تجذب الناس إليهم، وتسهل سيطرتهم عليهم.

وصمت لحظة ثم أضاف:

– إنهم قتلة بالفطرة

سأل حامد:

– ومن أين جاء الاسم "ذوي المعاطف البنية"

اعتدل حازم قائلا:

– الاسم نسبة إلى أول من فعل الأمر، السيد محسن عمار، لأنه كان يرتدي معطفا بنيا دائما

قال جلال:

– ولقد قام السيد عدنان بتسليم شركة المجد التي كان يعمل لحسابها لشركة زيوس، التي يعمل لحسابها الآن، ومؤخرا تقوم الشركات الكبرى بالاستعانة بهم كمستشارين، ليكشفوا ذوي المعاطف البنية الآخرين.

غمغم حامد:

– لا يفل الحديد إلا الحديد

فرد جلال:

– بالضبط

ثم التفت نحو محمود مكملا..

– سأحتاج إلى مكان لأبدأ التحقيق، كما سأحتاج إلى وحدات تخزين ذاكرة كاميرات المراقبة للأسبوع الماضي، وسجلات الخروج والدخول، وسجلات المستشفى ليراجعها فريقي.

بتوتر قال محمود:

– لماذا؟

هز جلال كتفيه في بساطة قائلا:

– لأنك لن تخبرني بالأمر الذي تخفيه، وإلا لم تكن لتخفيه منذ البداية

باستنكار قال محمود

– ماذا؟ أنا لا أخفي شيئا

أشار جلال نحوه قائلا:

– انظر.. هذا ما أتحدث عنه.

قال محمود:

– ولكن..

قاطعه حامد قائلا بغلظة:

– هل ستحضر ما طلبنا أم لا؟

خفض محمود بصره للأرض للحظات، ثم رفعه قائلا في استسلام:

– حسنا.. سأحضره بعد..

قاطعه جلال في حزم:

– أريد الوحدات الآن

اتجه محمود نحو أحد الأركان، ثم رفع يده أمام فمه، وتحدث للحظات بصوت خافت، ثم خفضها وعاد نحوهم قائلا:

- ستكون هنا بعد قليل

رد جلال:

- عظيم..

قالها، ثم استدار وسار نحو منتصف الغرفة، ووقف يتفحصها ببصره، ثم توقف عند الصور المعلقة على الحائط، والتي تمثل عدنان وأسرته، بينما وقف حازم مع حامد في أحد الأركان..

قال حازم:

- ما هذا التوتر بين جلال ومحمود؟

أجاب حامد:

- لقد كانا أفضل الأصدقاء سابقا، قبل أن يتحول محمود إلي نقطة الفشل الوحيدة في حياة جلال المهنية

- كيف؟

- هل تذكر قضية رجل الأعمال طلعت فراج ؟ لقد بذل جلال المستحيل حتى نجح في القبض عليه، ولكن قبل المحاكمة بيومين اختفي الدليل الوحيد الذي يربط طلعت بالقضية، وخمن من كان السبب؟

- محمود؟

– لم يستطيع جلال إثبات الأمر أبدا، وإن كانت كل الشواهد تشير إليه. وبعد فترة قصيرة، استقال محمود من العمل

تحرك حامد نحو جلال، الذي قال مشيرا إلي محمود:

– والآن لنذهب إلى الغرفة التي أعددتما

قادهم محمود إلى الغرفة المجاورة.. كانت فارغة، فأشار محمود بذراعيه، فظهرت مرآة نصف شفافة، تقسم الغرفة لنصفين، وفي النصف الداخلي منضدة صغيرة، وحولها مقعدان. قال حامد:

– مثالي

قال جلال:

– أريدك أن تحضر لي السيدة منال أولا، ثم ابنها

انصرف محمود، بينما قال حامد:

– كيف عرفت أنه يخفي شيئا؟

– وأنا أشاهد العرض، شعرت أن هناك شيئا مبتورا، ونظراته لي زادت شكوكي، ثم جاء الذعر الذي ارتسم على وجهه عندما طلبت الوحدات ليؤكد لي هذا

– هل تعتقد أن له علاقة بالجريمة؟

– لا أعرف

## ٤

الغرفة ( أ–ج–٢٧ )

نقل صبحي بصره بين منال الجالسة على الأريكة، والدموع تنهمر من عينيها، ومنير الجالس على مقعد مجاور، مخفيا وجهه بين كفيه، ثم قال:

– كما أخبرتك يا سيدة منال يجب ألا تخبريهم بأي شيء عما حدث، فهذا الأمر لن يجر علينا سوى المتاعب

رفعت منال بصرها نحوه قائلة :

– اطمئن يا سيد صبحي، لن أخبرهم بأي شيء عما حدث

أضاف صبحي يشجعها:

– أريدك أن تكوني قوية.. قوية من أجلكما أنتما الاثنين. إنهم سيضغطون عليك بمنتهى الشدة، ولو رأوا أي نقطة ضعف فسينقضون عليها، ويستغلونها ضدك

قالت منال:

– قلت لك لا تقلق

التفت نحو منير قائلا:

- وأنت؟

خفض منير كفيه عن وجه متورم العينين، وقال:

- اطمئن لن أقول شيئا

تراجع صبحي للخلف مستندا إلى الحائط، والقلق يأكل ملامحه، فقالت منال:

- أنا لن أسلمهم ابني

هتف منير:

- ولكني لم...

وقطع عبارته، عندما سمعوا صوت طرقات على الباب، ثم دخل محمود وأشار لصبحي، فابتعد معه نحو أحد الأركان، وتحدثا لدقيقة ثم عادا. قال محمود:

- الرائد جلال يريد أن يراكما

## ٥

- كيف حالك يا سيدتي؟

نطق حامد بالعبارة وهو يجلس على أحد المقاعد، ومنال تجلس على الآخر، خافضة بصرها للأسفل، بينما يقف جلال خلفه يتطلع إليها، ويراقب حركات جسدها. لم تجب منال، فقال حامد:

- أنا آسف جدا لخسارتك، ولكنى أحتاج أن أسالك بعض الأسئلة

رفعت وجهها إليه، فقال حامد:

- متى رأيت السيد عدنان آخر مرة؟

ردت منال:

- منذ أسبوع

سألها حامد:

- كيف كانت علاقتك بالسيد عدنان؟

صمتت منال للحظات تبحث عن كلمة مناسبة، ثم قالت:

- جيدة

قال حامد:

- كيف تقولين إنها جيدة وأنت تقيمين في غرفة منفصلة، ولا تلتقين به إلا قليلا؟

قالت منال:

- أنا لم اقل إنني كنت سعيدة، ولكني أقول أن علاقتنا البعيدة كانت جيدة

قال حامد:

- حسنا.. ولماذا كنت تقيمين في غرفة منفصلة؟

خفضت منال بصرها لأسفل، وبدا الألم على وجهها يفضح استدعاءها لذكريات مؤلمة، فقال حامد مستحثا:

- أرجو أن تخبرينا بكل شيء يا سيدتي، مهما بدا لك صغيرا أو غير مهم، فقد يكون هو الخيط الذي يوصلنا إلى الفاعل

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تقول:

- لقد كان.. لقد.. كان صاحب علاقات نسائية..متعددة

راقب جلال حركة جسدها جيدا.. يعرف أنه مهما حاول المرء الكذب، فإن لغة جسده تفضحه، وتفضح ما يخفيه. لاحظ حركة رأسها وحركة عينها نحو اليمين، فأدرك أنها تقول الصدق، وأن الألم والحزن المرتسمان على وجهها حقيقيان.

الجانب الأيسر من المخ هو الذي يتعامل مع الحقائق، وهو الذي يتحكم في الجانب الأيمن من الجسد، لذلك تتحرك العين ناحية اليمين

في حالة الصدق، بينما تتحرك ناحية اليسار كلما كذب، لأن الجانب الأيمن من المخ يتعامل مع الأشياء الخيالية وغير الحقيقية ويتحكم في الجانب الأيسر من الجسد.

أكملت منال وسط دموعها:

– عرفت في البداية عندما أخبرتني إحدى صديقاتي أنها رأته ساهرا مع امرأة أخرى، ولكنني لم أصدقها، ثم تأكدت عندما ...

وخنقها البكاء فصمتت للحظات، ثم أكملت:

– وفي إحدى المرات أخبرني أنه مسافر للعمل، ولم أصدقه، وتبعته هناك، وذهبت إلى حيث يقيم لأجده و معه...

صمتت، ففهما ما تقصد، وخيم الصمت للحظات.

أدرك جلال ما تفعل.. إنه أسلوب يسمى الطوفان، حيث تقوم بإغراق المستمع بطوفان من الذكريات الخاصة المملوءة بالألم، لتوهمه بأنك تخبره بكل شيء، وتحصل على تعاطفه أيضا، مما يفقده تركيزه، بينما أنت في الحقيقة تجاهد لإخفاء شيء آخر أكثر أهمية.

أدرك جلال هذا من حركة يدها المتوترة وغير المتوافقة مع تعبيرات وجهها. ولكن هذا الأسلوب يحتوى ثغرة قاتلة، فتركيز دفاعاتها لحماية شيء واحد يجعلها أقل حول الباقي، لذلك يجب أن يستغل هذه الثغرة، ليحصل على أكبر قدر من المعلومات.

قال حامد

– ولماذا لم تتركيه؟

قالت منال:

-لم أتركه لأنني كنت أحبه.. عدنان كان حبي الوحيد.. الأول والأخير..لم أكرهه أبدا رغم كل ما فعل..كنت أنتظر اللحظة التي يعود فيها إلى عقله ويعود إليّ.. لم أفقد الأمل يوما.. كنت أعرف أنه يحبني وأنه سيعود ولكن..

واحتبس صوتها ولم تستطع أن تكمل، فاحترما صمتها للحظات، حتى قرر جلال أن دوره حان، فتدخل قائلا:

– لماذا استغرقت ثلاث سنوات لتلحقي به هنا؟

ردت:

– عندما عرفت بخيانته تملكني الغضب والألم، وأحرقاني حرقا، فتركت المترل وذهبت للإقامة عند والدتي، فجاءني عدنان هناك، وظل يعتذر ويقسم أنها لن تتكرر، فصدقته وعدت معه، ولكنها تكررت، فتركته ثانية، وعدت إلى مترل والدتي، فجاءني عدنان عدة مرات، ولكني رفضت العودة معه.

وظللت هناك حتى توفيت والدتي، فشعرت أنني وحيدة ضعيفة في مواجهة العالم، وعرفت كم يحتاج منير إلى والده، فعدت مع عدنان في زيارته التالية

قال حامد:

– جئت هنا معه، ولكنك ظللت بعيدة عنه، فلماذا؟

قالت:

- لقد علمت بعد مجيئي إلى هنا أن خياناته مازالت تتواصل، فلم أطق القرب منه

سألها:

- ولماذا لم تذهبي وتتركيه؟

قالت:

- لم أستطع مواجهة عائلتي وأصدقائي لأخبرهم بفشلي، بعد أن حذروني منه ولم أستمع لهم.. لم أستطع تحمل نظرات الشفقة والشماتة.. كما أن منير كان يحتاج والده، وأنا أيضا أحببت المكان هنا

لامس جلال أطراف إصبعيه السبابة والإبهام، فصنع حلقة وضعها أمام عينه اليمنى للحظات، ثم خفضها، مفكرا أنها لن تخبرهم بالمزيد، لذلك فهذا وقت القراءة الباردة **Reading Cold**

القراءة الباردة هي عبارة عن سلسلة من التقنيات التي يستخدمها العراف أو القاري، للإتيان بمعلومات عن الأشخاص، ليقنعهم بأنه يعرف الكثير عن موضوع ما، ويستطيع القاري المتمرس الحصول على قدر كبير من المعلومات عن الموضوع، عن طريق تحليل لغة جسد الشخص ومعرفة بعض المعلومات البسيطة عنه، ثم يأتي بتخمينات بناء على الإشارات التي التقطها، ثم يقوم بتركيز الاحتمالات حتى يصل إلى ما يريد.

ومن أشهر تقنيات القراءة الباردة بما فيها حيلة قوس قزح Rainbow Ruse والإطراء المفرط Fine Flattery وعبارات "برانوم Branum Statements والتصويب Shotgunning

بمنتهى الهدوء والبطء وبلهجة متقطعة قال جلال:

- أنت لم تستطيعي أن تغفري للسيد عدنان خيانته المتكررة أبدا.. ومع ذلك أتيتِ معه إلى هنا وبقيت.. ليس لأنك تشعرين بالوحدة، وليس لأنك تخشين مواجهة الآخرين.. وأنت أيضا لم تحبي المكان هنا.. لقد أتيت وبقيت لأنك وقعت في مشكلة... مشكلة كبيرة والسيد عدنان كان الوحيد القادر على حلها.. ليس أنت من وقع في المشكلة.. إنه أبنك منير، أليس كذلك؟

لم تجب منال، ولكن والارتباك والقلق ظهرا جليا على وجهها، في نظرة مسحتها سريعا قبل أن تقول:

- إن منير ولد مطيع لم يتورط في المشاكل، وكان دائما ينفذ ما أقوله دون مناقشة

تحركت عيناها نحو اليسار، ومسحت أنفها، فأدرك جلال أنها تكذب.

هذا نتيجة للاضطراب النفسي والصراع الداخلي حيث يقوم الجانب الأيمن بإجبار أعضاء الكلام "الحنجرة ــ اللسان ــ الشفاه" على الكذب، فتتحرك اليد تلقائياً لإخفاء تلك الأعضاء بأمر من

الجانب الأيسر من المخ، المسئول عن التعامل مع الحقائق، الذي يعلم تماماً زيف هذا الكلام، وينطبق هذا أيضا على حك الذقن والأنف ووضع اليد على الفم والعين وأحياناً تمرير اليد على الشعر.

قال جلال:

- لا تكذبي علينا يا سيدة منال، لقد وقع منير في مشكلة كبيرة، فاضطررتِ أن تطلبي المساعدة من السيد عدنان، ولكنه اشترط عليك أن تعودي معه حتى يقوم بمساعدته. هذه المشكلة تتعلق بـــ..

وضيق عينيه محدقا في منال، فأسرعت تقول:

- إنها ليس مشكلة كبيرة كما تقول. لقد كان هناك فتاة يحبها منير بجنون، ولكنني كنت متأكدة أنها تخدعه من أجل المال، أنها ستدمر حياته، فحاولت إبعاده عنها بكل الطرق، ولكنني لم أستطع، فأدركت أن منير في حاجة لشخص أقوى.. في حاجة لوالده

وصمتت لحظة ثم أكملت:

- ولقد جاء عدنان وأخبرني أن الطريقة المثالية لحماية منير منها ومن أمثالها هي قدومنا معه إلى المدينة

قال حامد:

- ولماذا لم تخبرينا بهذا منذ البداية؟

صمتت منال للحظات تبحث عن إجابة، ثم قالت:

- لم أظن أن لهذا علاقة بما حدث، كما أن منير يغضب بشدة عندما أذكر الموضوع

قال حامد:

- لقد أخبرتك أن كل التفاصيل مهمة

قاطعهما جلال:

- ماذا كان اسم الفتاة؟

فكرت منال للحظات، ثم قالت:

- عزة

قال جلال:

- صفيها لي

صمتت، وتحركت عيناها إلى أعلى اليسار، فأدرك جلال أنها تصنع صورة من خيالها ليست من الذاكرة. قالت منال:

- كانت متوسطة الطول، سوداء الشعر، تضع الكثير من المساحيق، وكل تصرفاتها يملؤها التصنع

لم يعلق جلال فقال حامد:

- هل كان لزوجك أعداء؟

قالت منال:

- عدنان كان يعمل مستشارا لشركة زيوس العالمية وكان يساعدهم لكسب المال، وربحهم هو خسارة الآخرين، لذلك فأعتقد أن كل الخاسرين هم أعداء محتملون؛ غير ذلك لا يوجد له أعداء

قال جلال:

- أين كنت في الساعة السابعة مساء الأمس؟

استنكرت منال:

- هل تظن أنني من وضع السم لعدنان؟

قال حامد:

- إننا لا نظن شيئا، نحن نريد أن نعرف فقط

فكرت منال للحظات ثم قالت:

- لقد كنت في غرفتي اقرأ كتابًا.. لم أقرب المطبخ أو غرفة عدنان

قال جلال:

- ما اسم الكتاب الذي كنت تقرئينه؟

ترددت منال للحظات، ثم مسحت على شعرها قائلة:

- كنت أقرأ إنهم بيننا للكاتب د.و.كارول

قال جلال:

- وفي أي صفحة توقفت؟

نقرت منال على المنضدة مفكرة للحظات، ثم قالت:

- توقفت عند.. عند.. لقد أنهيته

قال جلال:

- شكرا لك يا سيدة منال، يمكنك الانصراف

انصرفت منال، فقال حامد:

- لماذا صرفتها؟ من الواضح أنها تكذب

لامس جلال أطراف إصبعيه السبابة والإبهام، فصنع حلقة وضعها أمام عينه اليمني للحظات، ثم خفضها قائلا:

- إنها لا تكذب فحسب، ولكنها كذلك تساهم أيضا مع محمود في إخفاء شيء ما

تساءل حامد في دهشة:

- محمود!! كيف عرفت؟

- لقد كان محمود يراقب الاستجواب بمنتهى الاهتمام عبر الزجاج. لقد رأيته مستخدما العدسة الخاصة. وعندما غادرت منال، ذهب معها للخارج، ولكني قرأت حركة شفتيه. لقد قال لها "كنت جيدة"

- ولماذا لم تواجهها؟

- ليس بهذه السرعة. هل تعرف ماذا يفعل القائد الناجح بعدما يتأكد من حصار عدوه؟

- يقوم بذبحه على الفور؟

ابتسم جلال قائلا:

- لقد بدأت أحب المكان هنا

ثم رفع ساعته أمام فمه قائلا:

- أدخل منير

## ٦

قال حامد

- أنا آسف جدا لخسارتك، ولكني أحتاج أن أسالك بعض الأسئلة

تطلع إليه منير دون إجابة، فقال حامد:

- متى رأيت والدك آخر مرة؟

اضطرب منير للحظات، وتحركت عيناه ناحية اليسار قائلا:

- منذ خمسة أيام تناولنا الغداء سويا وتحدثنا

قال حامد:

- هل أخبرك بأي شيء غريب؟.. أي شيء يقلقه؟

رد منير:

- لا.. لقد كان حوارا عاديا، تحدثنا حول مستقبلي وأشياء من هذا القبيل

تدخل جلال:

– ما نوع المشكلات التي أوقعت نفسك فيها حتى اضطررت والدتك لإحضارك هنا؟

توتر منير للحظات، ثم قال:

– أنا لم أقع في أية مشكلات

قال حامد:

– إننا نعرف كل شيء، فلا تحاول الكذب علينا

ابتسم جلال لتناقض الجملة، فإذا كان يعرف كل شيء فما حاجته للسؤال!.. ولكنه صمت، وتطلع إلى منير الذي سكت للحظات ثم قال:

– لقد كنت أحب إحدى زميلاتي، ولكن والدتي كانت تكرهها بجنون، وتقول إنها ستفسد حياتي، وأنها تخدعني من أجل المال، وحاولت تفريقنا بكل الطرق. ولما لم تفلح، جاءت بي إلى هنا

كان منير يتكلم ووجهه لوحة للانفعال والحزن والألم، ولكن عينيه وحركة جسده وشتا به.. إنه لا يسترجع ذكرى مؤلمة؛ إنه يقوم بترديد كلام يحفظه. سأله جلال:

– ما اسم هذه الفتاة؟

رد:

– حنان

انتظر حامد أن يسأل جلال سؤالا آخر، ولكنه صمت، فقال هو:

- أين كنت في الساعة السابعة مساء الأمس؟

رد منير:

- كنت مع أصدقائي في قاعة الطعام

لاحقه حامد:

- وما أسماء أصدقائك؟

قال منير:

- محمد وكمال

لم يجد حامد شيئا آخر يسأله، فالتفت نحو جلال، الذي أشار له أن يصرفه، فالتفت نحو منير قائلا:

- يمكنك الانصراف الآن

انصرف منير فقال جلال:

- ألم تلاحظ شيئا؟

- ماذا؟ كان يكذب هو الآخر؟

- نعم، ولكن هناك شيئا آخر

فكر حامد للحظات ثم قال:

- لا أعرف

- لقد أخبرتنا والدته أن الفتاة التي يحبها اسمها عزة، وهو أخبرنا أن اسمها حنان

ضرب حامد مقدمة رأسه في ضيق لأنه لم يلحظ هذه النقطة، وقال:

- هل أستدعيه ثانية؟

ابتسم جلال.. لو كان يريد مواجهته لما تركه يذهب..

- ليس بهذه السرعة. هل تعرف ماذا يفعل قطيع الأسود بعدما يحاصر فريسته؟

- ينقض عليها ويقوم بتمزيقها على الفور؟

رفع جلال ساعته أمام فمه، ثم قال:

- أدخل عزام

كان حامد قد اعتاد أسئلة جلال الغريبة، وأنه لا يجيبه عليها، لذلك سأله:

- لماذا عزام؟ لما لا نستجوب رضا أولا؟ لقد كان مساعد عـــ..

قاطعه جلال:

- القاعدة تقول الكبير أولا، وعزام أحد أعضاء مجلس الإدارة لذلك..

وصمت، فأكمل حامد:

- هو أولا

## ٧

سأله حامد:

– لماذا أتيت إلى هنا يا سيد عزام؟

قال عزام:

– لقد اتصل بي عدنان، وأخبرني أنه يريدني أن أقابله هنا لأمر هام جدا، فأتيت

حامد:

– وماذا كان هذا الأمر الهام؟

رد عزام:

– إنها بعض أمور العمل العادية

نظر حامد نحو جلال مبتسما، كأنه قد أمسك صيدا ثمينا، ثم التفت نحو عزام قائلا في ذكاء:

– كيف تكون أمور العمل العادية أمرًا هامًا جدا؟

ارتبك عزام للحظات، ومرر يده على وجهه ثم قال:

– إنها صفقة هامة كنا نعمل عليها

قال حامد:

- أخبرني المزيد عن تلك الصفقة

رد عزام:

- لا يمكنني أن أخبرك. إنها أسرار الشركة ولا يمكنني إفشاءها

ضرب حامد المنضدة بقبضته بعنف أفزع عزام، ثم قال:

- إننا نحقق في جريمة قتل، لذلك لا توجد أسرار

تردد عزام لحظات، ثم زاغت عيناه وقال:

- إنها صفقة كنا نحاول عقدها مع شركة حورس، وقد قام قسم الإحصاء بإعداد الرسوم المطلوبة، ثم قام قسم الحسابات بإعداد الأرقام، وقام القسم التكنيكي بإعداد خريطة الأمر، ولكننا وجدنا أن قيمة (ك )في المعطيات الأولى تزيد عن قيمتها في..

لم يفهم حامد شيئا، ولكن جلال أدرك أن هذا ما يقصده عزام.. تقنية أخرى من أسلوب الطوفان أغرق المستمع بالكثير الذي لا يفهمه حتى يفقد تركيزه، فقاطعه قائلا:

- هل لقدومك علاقة بالبيانات التي أحضرها مساعده رضا؟

رد عزام:

- لم يخبرني عدنان بأية شيء عن مساعده!

لاحقه جلال:

- حقا لم يخبرك؟!

رد:

- نعم لم يخبرني. لقد جئت لأناقش أمر الصفقة معه ولا أعلم أي شيء آخر

هم حامد بالكلام، ولكن جلال سبقه:

- يمكنك الانصراف الآن يا سيد عزام، ولكن لن يمكنك المغادرة حتى انتهاء التحقيق

انصرف عزام، فسأل حامد

- لماذا صرفته؟ كان لدي مزيد من الأسئلة، وأعتقد أنه كان يكذب

- أعرف

- لماذا لم تواجهه؟

- ليس بهذه السرعة.. هل تعرف ماذا يفعل الصيد الماهر بعدما تعلق السمكة في صنارته؟

- يخرجها على الفور؟

رفع جلال ساعته أمام فمه، ثم قال:

- أدخل رضا

- المفترض أن ندخل شاكر! أنت قلت الكبير أولا

- صحيح.. ولكنها تقول الكبير ثم القريب، ورضا كان أقرب

- .......

## ٨

قال حامد:

– ما سبب قدومك إلى هنا؟

رد رضا:

– لقد جئت لأسلم وحدات تخزين معلومات خاصة للسيد عدنان

سأله حامد:

– وماذا تحوي؟

رد:

– لا أعرف

سأله:

– كيف لا تعرف؟ لقد كانت الوحدات معك وجئت إلى هنا لتسلمها دون أن تعرف ماذا تحوي؟!

بخوف قال رضا:

– نعم هذا هو ما حدث

ضرب حامد المنضدة بقبضته، وصاح

– هل تمزح معي؟

خفض رضا بصره للأرض في خوف، فقال حامد بلهجة قاسية:

– نحن أمام جريمة قتل؛ لذلك لو لم تخبرني بكل ما أريد، سأعتقلك بتهمة إخفاء الأدلة وعرقلة العدالة. انظر إليّ

رفع رضا بصره ببطء نحو حامد، الذي أكمل بنفس اللهجة:

– بالإضافة إلى تدمير مستقبلك، هل تعرف كم ستبلغ عقوبتك؟

ظهر الفزع على وجه رضا، وخرج صوته ضعيفا:

– لقد أخبرني السيد عدنان أن أحتفظ بها وأحضرها إلى هنا عندما يطلبها، ولا أعرف أي شيء آخر.. أقسم لك

نهض حامد من مقعده، فانتفض رضا، بينما قال حامد:

– حسنا أنت أردت هذا ســـ..

ولكن جلال قاطعه قائلا:

– نحن نصدقك يا سيد رضا.. يمكنك الانصراف الآن، ولكن لن يمكنك المغادرة حتى انتهاء التحقيق

غادر رضا مسرعا مرتجفا، فالتفت حامد غاضبا:

– لماذا تركته يغادر؟ لقد كان على وشك الاعتراف

ابتسم جلال قائلا:

– الاعتراف بماذا؟ إنه لا يعرف شيئا

– ماذا؟!

- إنه الوحيد الذي قال الحقيقة

بدهشة مستنكرة قال حامد:

- ولماذا تركتني استأسد عليه إذا؟

ابتسم جلال قائلا في بساطة:

- حتى تخرج الغضب الكامن داخلك، فتكمل التحقيق بذهن صاف

- ماذا؟!

- لقد رأيته في عينيك.. أنت احتجت هذا

لم يجب حامد، فخيم الصمت للحظات، حتى قال جلال:

- هل تعرف لماذا..

قاطعه حامد..

- أنا لا أعرف شيئا

رفع ساعته إلى فمه قائلا:

- أدخل شاكر

## ٩

بدأه حامد – كالعادة–:

– لماذا أتيت إلى المدينة؟

رد شاكر:

– لقد حصلت على إجازة لمدة أسبوع، فقررت قضاءها هنا

تطاير الشك من عيني حامد وهو يتهكم قائلا:

– حقا؟

بمنتهى الهدوء قال شاكر:

– نعم. يمكنك التأكد من الشركة بنفسك و..

قاطعه حامد قائلا:

– إذا فلماذا ذهبت للقاء السيد عدنان في غرفته وتشاجرت معه؟

جذب شاكر نفسا عميقا، ثم قال بنفس الهدوء:

– سأخبرك بالحقيقة، فنحن أمام جريمة قتل. لذلك لا توجد أسرار

قال حامد بوقار:

– جيد

لم يفهم حامد الأمر، ولكن جلال فهمه. إن شاكر هذا ليس شخصا عاديا. لقد قام بتحليل شخصية حامد وعرف كيف يتعامل معه ويكسب ثقته. كما أن لغة جسده لا توحي بأي شيء

قال شاكر

– لقد كان السيد عدنان يكرهني بشدة، وكنت أبادله نفس الكراهية. كنت أعتبره أحمق متعجرفا، لا يفقه شيئا. وكدت أن أفقده عمله عندما أوضحت خطأه وفساد رأيه في إحدى الصفقات.. وهو أيضا لم يدخر جهدا في دفعي إلى المصائب كلما أمكنه..

كل هذا جميل، ولكنني مؤخرا عرفت أنه قابل زوجتي، وحاول أن يقلبها ضدي بملء رأسها بالأكاذيب.. وهذا ما لم أقبله. إن عائلتي خط أحمر، لا أسمح لأي كائن بعبوره؛ لذلك ذهبت إلى غرفته، وظللنا نصيح ونتبادل السباب لبعض الوقت، ثم تركته وانصرفت

سأله حامد:

– هل هذا كل ما حدث؟

رد بثقة:

– نعم

سأله حامد:

- أين كنت في الساعة السابعة مساء الأمس؟

قال بهدوء المتوقّع للسؤال:

- كنت أتناول العشاء وحيدا في غرفتي. أعرف أنها ليست حجة الغياب المثالية، ولكن هذا ما حدث

نظر حامد إلى جلال، فأشار له أن يصرفه.

تابعه جلال ببصره حتى خرج، ثم قال حامد:

- لقد شعرت بقشعريرة غريبة وأنا أتحدث إليه. هذا الرجل قاتل بالفطرة

صمت لحظة، التفت خلالها نحو جلال مكملا:

- هل تعتقد أنه فعلها؟

- ربما.. ولكننا لن نستطيع مواجهته إلا وبحوزتنا دليل قوي. والآن، لنذهب إلى المستشفي

- لماذا المستشفي؟

- هل تعرف ماذا يفعل قطيع الجاموس البري عندما يريد عبور النهر الممتلئ بالتماسيح الجائعة؟

- لا أعرف.. وآسف أنني سألت. لنذهب

## ١٠

مستشفي المدينة

وقف الاثنان أمام الباب الخارجي، فقال حامد:

– لقد أخبرني حازم أن لديهم أفضل مستشفى في العالم. حتى إنه لو تم تمزيق إنسان بالكامل، فإنهم قادرون على تجميعه

ابتسم جلال، ثم دفع الباب ودخل الاثنين، فأستقبلهم محمود مشيرا إلى سيدة في الثلاثين من عمرها، متوسطة الجمال، تقف مرتدية معطفًا أبيض..

– الدكتورة أيتن

قالت أيتن:

– مرحبا بك يا سيادة الرائد وأنت يا سيادة النقيب كيف يمكنني أن أخدمكما؟

قال حامد:

– نريدك أن تحدثينا عن السيد عدنان

قالت أيتن وهي تهز رأسها مسترجعة تاريخه الطبي:

– السيد عدنان كان لديه بعض الوساوس المرضية، لذلك كان يأتي إلى هنا بصفة منتظمة للاطمئنان على نفسه، والحصول على حقن الفيتامينات

سألها حامد:

– ومتى كانت آخر مرة جاء إلى هنا؟

ردت أيتن:

– صباح الأمس

قال حامد

– ومن الذي يقوم بإعطائه الحقن؟

قالت:

– أحيانا أنا وأحيانا إحدى الممرضات

صمت حامد بعد أن فرغ ما في جعبته، فقال جلال:

– وماذا عن ابنه منير؟

لم تفهم ايتن، فقالت مستفهمة:

– ماذا عنه؟

قال جلال:

– هل كان يأتي إلى هنا؟

قالت:

– قليلا

سألها:

– هل أتى إلى هنا مصابا نتيجة شجار؟

توترت أيتن للحظات، ثم أجابت

- لا

سألها جلال:

- هل تأتيك أية إصابات نتيجة شجارات؟

تحركت عيناها نحو اليسار وهي تقول:

- لا إن معظم المو...

قاطعها جلال قائلا:

- حسنا شكرا لك على وقتك

غادر مع حامد ومحمود، فوقفت أيتن تتطلع إليهم حتى ابتعدوا، ثم ضغطت حلقها بأطراف أصابعها، فتألق باللون الأزرق، وطلب هاتفا داخل المدينة لحظات، ثم بدأت تتحدث..

- مرحبا

- كل شيء على ما يرام

- أعرف أنك أخبرتني ألا أتصل، ولكنني لم أستطع المقاومة أكثر

- حسنا سأكون أكثر حذرا

- أحبك

- إلى اللقاء

## ١١

قال جلال:

- الآن أريد أن أرى المطبخ

قال محمود:

- حسنا

ثم قادهم نحو إحدى غرف النقل. دخلوها، فانطلقت بهم، فقال حامد:

- ما رأيك؟

تلفت جلال حوله، ثم قال:

- الفاعل قد يكون أي شخص. حتى محمود يمكن أن يكون الفاعل

هتف محمود بسرعة، والتوتر يملأ وجهه:

- ماذا تقول؟ أنا لم..

قاطعه حامد ضاحكا:

- استرخ يا رجل إنه يمزح

تنفس محمود الصعداء، بينما وضع جلال يده على صدره قائلا:

- هل أفعل؟!

وصل الناقل إلى المطبخ، فغادره الجميع ودخلوا. أشار محمود نحو أحد الواقفين قائلا:

- الشيف جمال رئيس الطهاة

وقبل أن يتكلم أحد، أسرع جمال نحوهم قائلا:

- اسمعني جيدا يا سيدي.. أنا ليس لي أي شأن بما حدث. لقد أعددت طعام العشاء وأرسلته للغرف، والطعام كان جيدا، بدليل أنه لم يحدث أي شيء لأي شخص آخر، ولقد قاموا باستجوابي وتفتيشي وتفتيش حجرتي، ولم يجدوا شيئا. لم يبق سوى تشريحي للبحث عن الأدلة!

قال حامد:

- ربما نفعل

بينما ابتسم جلال قائلا:

- ومن قال إنني هنا للحديث عن الجريمة

ظهر التساؤل على وجوههم، بينما أكمل جلال:

- ماذا؟ لقد فكرت أن التحقيق سيطول، فأتيت لأخبرك ماذا نريد على العشاء

- ماذا؟!

كست الدهشة وجه جمال، بينما أكمل جلال:

- لقد سمعت أنك من أفضل الطهاة في العالم

أزاح الزهو والفخر القلق من وجه جمال، وهمهم بكلمات غير مفهومة، فمد جلال يده بورقة نحوه قائلا:

- هذا ما نريد

ثم استدار ومشى نحو الخارج خطوتين، ثم قال دون أن يستدير:

- بدون منيفريد من فضلك

وانصرف مسرعا دون أن يعطيه فرصة للرد.

## ١٢

الغرفة ( أ–ج–١٥ )

استرخى جلال على أحد المقاعد، والأحداث تدور داخل رأسه.. إنه أمام جريمة غاية في التعقيد..

أولا: متى وجد القاتل الفرصة ليضع السم في الطعام؟ لقد فحص المطبخ بنفسه، ولا توجد أية نقاط عمياء في نظام المراقبة، حتى يستخدمها القاتل لوضع السم في الطعام دون أن يظهر. والعرض يظهر الطعام منذ خروجه من المطبخ حتى وصوله للغرفة، لم يلمسه أحد، فكيف فعلها؟

ثانيا: لماذا يكذب الجميع بلا استثناء؟ حتى صبحي ومحمود، لماذا يجاهدان لإخفاء شيء ما؟..ما هو الخيط الخفي الذي يجمعهم جميعا؟..منال، منير، عزام، شاكر، صبحي، محمود..أيتن هل كلهم مشتركون في الجريمة؟.. لا.. إنه خيط آخر.. هناك شيء آخر يحدث هنا.. أشياء أخرى.. وجميعهم يعملون بكل قوتهم لإبقائها مختفية..

لماذا تعمل بكل قوتك لإفساد التحقيق في جريمة وإخفاء أدلتها؟.. ما لم يكن هناك.. • • •

- يجب أن تخبرني ماذا تفعل

فتح جلال عينيه متطلعا إلى حامد، الذي قطع أفكاره، بينما أكمل حامد في ضيق:

- لماذا لم نتم التحقيق مع أي من الكاذبين حتى الآن؟

اعتدل جلال في مقعده، ثم أشار بيده، فظهر مقعدًا بجواره. أشار إلى حامد، فجلس عليه، فقال جلال:

- ما هي القاعدة الذهبية للتحقيق؟

- أن نواجه الكاذب بكذبه؟

- ألا تحقق مع أي مشتبه به أكثر من مرتين

ثم مسح باطن يده اليسرى بيده اليمنى، فتكونت شاشة صغيرة تحمل صورة بيضاء، أشار جلال نحوها قائلا:

- عندما تسأل المشتبه به ما هذه الصورة، فيقول إنها صورة للصحراء، فهناك احتمالان:هو صادق أو كاذب.. ولكنك لن تعرف

ثم لمس جلال بطرف إصبعه على الشاشة، فظهر مربع صغير في جانب الشاشة، يحوي جزء صغير من صورة لشجرة. أكمل..

-ولكن عندما يكون لديك هذه المعلومة الوحيدة، فأنت تعرف أنه يكذب. يمكنك ساعتها أن تواجهه، ولكنك بالتأكيد لن تحصل إلا على المزيد من الأكاذيب والتبريرات، سيخبرك أن هذه واحة في الصحراء أو أي شيء آخر

لمس جلال الشاشة ثانية، فظهر مربعان آخران بجوار الأول يكملان صورة الشجرة وجزء من الأرض، فقال:

– والآن الصورة بدأت تتضح.. لا يمكن أن تكون هذه الصورة في الصحراء. تعود إليه، فيخبرك أنه قد نسي أو أنها تشبه صورته التي التقطها لواحة في الصحراء، ثم يصب في أذنيك مزيدا من الأكاذيب. وهكذا تظل تدور في حلقة مفرغة

مسح جلال على الشاشة، فتكونت نصف الصورة، قال جلال:

– والآن عندما يكون لديك نصف الصورة، فأنت تعرف أنها لشجرة تنبت فوق سطح أحد المباني. يمكنك بقليل من الذكاء إقناع المشتبه به أنك تعرف الصورة كاملة، فيخبرك بكل ما لديه

ثم مسح يديه، فاختفت الصورة، فقال حامد:

– لو واجهت منال بأنها تكذب فستقول إنها كانت تكذب لأن هذه أمور خاصة مؤلمة لا تحب الكلام عنها، وأنها نسيت الاسم، أو أن الفتاة اسمها حنان ولكننا نناديها عزة وهكذا

تابع جلال:

– تجد نفسك التقيت بالمشتبه به عشرات المرات وأفكارك مشوشة بالكثير من القصص المزيفة دون نتيجة.. لذلك، فقاعدة المرتين تخبرك أن تكون مستعدا تماما في المرة الثانية، بحيث تنسف كل ألاعيبه وأكاذيبه

ثم كور قبضته مضيفا..

- وتقبض عليه

تمهل حامد ثم سأل:

- وما هو نصف الصورة الذي تبحث عنه؟

رد جلال:

- الخيط الذي يربطهم جميعا:منال، منير، عزام، شاكر، صبحي، محمود، وحتى الدكتورة أيتن

بدهشة قال حامد:

- جميعهم مشتركون في الجريمة؟!

قال جلال:

- ليس في الجريمة، ولكن هناك أشياء أخرى يحاولون إخفاءها بالاتفاق مع بعضهم البعض

قال حامد في حيرة:

- الأمر يبدو غاية في التعقيد

هز جلال رأسه..

- من الخارج فقط. ولكنه في الحقيقة بنيان في غاية الهشاشة، يكفي فقط أن تدفع جزء منه لينهار كله، مثل قطع الدومينو

ضيّق حامد عينيه..

- وكيف سنعرف الجزء الذي ندفعه؟

فكر جلال للحظات ثم قال:

- سنقوم بـــ...

ولكن حازم قاطعه قائلا

- أنا أعرف الجزء الذي ستدفعونه..

التفت الاثنان إليه، فقال:

- لقد أعدت الأجزاء المحذوفة من ذاكرة مراقبة الأمس. خمنوا من زار عدنان في غرفته بالأمس؟

سأله حامد بسرعة:

- ابنه منير

وسأل جلال بهدوء:

- زوجته منال

تطلع حازم إليهما لحظات، ثم قال بابتسامة وهو يرفع إصبعين:

- الاثنان

بدهشة قال حامد:

- ماذا؟!

أدار حازم شاشة صغيرة نحوهما قائلا:

- كما ترون.. فمنير زاره في غرفته أولا، وتشاجر معه، ثم خرج.. بعدها بقليل جاءت زوجته منال، ومن الواضح أنه تشاجر معهما هي الأخرى. ثم زاره منير ثانية..

كانت الشاشة تعرض ما يقول، فقال حامد بنبرة انتصار:

- حصلنا على خيطنا، فلنواجههما

ثم نظر نحو جلال، ولكنه هز رأسه نافيا.. فقال:

- نواجه صبحي ومحمود، لأننا نعرف أنهما عبثا بالذاكرة وحذفا اللقاء

ومرة أخرى هز جلال رأسه نافيا، فزفر حامد في حيرة، وفرد كفيه أمام جسده متسائلا، فقال جلال:

- بل نواجه شاكر

غزت الدهشة وجه حامد، فقال حازم

- نظرية كرة الثلج

ابتسم جلال، بينما ظلت نفس النظرة البلهاء على وجه حامد وهو يقول:

- عندما تبدأ كرة الثلج في الانحدار، تكون صغيرة جدا، ولكن حجمها يزداد كلما هبطت أكثر. لذلك لا تنظر إلى الكرة النهائية الضخمة، ولكن انظر إلى الكرة الصغيرة الأولى. ولكني لا أفهم ما علاقة هذا بشاكر!

قال جلال:

– إنه من دفع الكرة الصغيرة في البداية

لم يفهم حامد، فقال حازم:

– لقد زار عدنان في غرفته، وبعدها بقليل جاء منير ثم خرج غاضبا، وذهب إلى غرفة منال وبقي هناك لبعض الوقت، ثم خرجت منال وجاءت إلى غرفة عدنان وبقيت لبعض الوقت، ثم خرجت غاضبة، ثم زاره منير ثانية، وقام صبحي ومحمود بحذف هذا الجزء.. لذلك فالأمر كله يتوقف على الكلام الذي أخبره شاكر لعدنان

هز حامد رأسه وقد فهم، ولكنه تساءل:

– لقد كذب علينا في المرة الأولى، فلماذا تظن أنه سيخبرنا الآن؟

قال جلال:

– لن يخبرنا بسهولة، لذلك فيجب أن نخيفه بشدة.. يجب أن ندفعه إلى الحافة

قال حامد:

– نخيفه! هذا الرجل قاتل بالفطرة، لا يمكن إخافته

قال حازم:

– عزام أيضا يبدو كقاتل بالفطرة،، يبدو أنها سمة مميزة للعاملين في زيوس

قال جلال في شغف:

- وهذا ما يجعل الأمر أكثر إمتاعا

نهض من مقعده، وسار خطوات نحو الحائط، ثم وقف عاقدا كفيه خلفه والأفكار تعصف برأسه.. كيف يفعلها؟ إنه متأكد أن الجميع متصلون.. لا يمكن أن يكون حضور الثلاثة العاملين مع عدنان والتقائهم به في يوم واحد مصادفة أبدا. والآن يعرف أيضا أن هناك خيطا يربط شاكر بمنال ومنير

راح عقله يرتب المعلومات التي حصل عليها عن الجميع، سواء من التحقيق أو من البحث في قاعدة بيانات الوزارة

عدنان .. منال .. منير .. شاكر .. عزام .. شاكر .. هناك شي ما بخصوص هذا الرجل إنه يبدو...

سعل حازم، فزفر جلال في ضيق.. لقد أخرجه من...

برقت الفكرة في رأس جلال تقاطع ضيقه.. لقد كان الحل قريبا منه منذ البداية، كيف لم يره؟ التفت نحو حازم قائلا:

- هل انتهيت من فك شفرة الملف؟

قال حازم وهو يتطلع إلى الشاشة:

- لا.. إن الملف مشفر بنوع خاص من التشفير الثلاثي. سيحتاج المزيد من الوقت

استدار جلال ثانية، فخيم الصمت على المكان، حتى رفعه جلال بقوله:

- حسنا.. استمعوا لي جيدا

ثم استدار وجلس على مقعد مجاور، ولدقائق راح يخبرهم بما لديه.. حتى انتهى، فقال حامد في غبطة:

- سيسعد شاكر كثيرا عندما نزوره في غرفته

## ١٣

الغرفة (ب–د–٤٥)..غرفة شاكر

جلس شاكر على أحد المقاعد، بينما وقف جلال موليا ظهره له، وإن كان يتابع مجسم مظلم لجسده تعرضه عدسة صغيرة أمام عينيه. إنه يعرف جيدا أن شاكر ليس سهلا. أنه ثعلب مراوغ، يعرف الكثير من التقنيات التي يستخدمها.. لذلك يجب أن يسحبه بمنتهى البطء والحرص والهدوء خارج وكره.

بينما انهمك حامد وحازم في تفتيش الغرفة للمرة الثانية، قال شاكر:

– لقد قمتم بتفتيش الغرفة من قبل ولم تجدوا شيئا؛ فلماذا تفتشونها ثانية

رد جلال

– لدينا أسبابنا

أضاف حامد:

– وأنت تعرف القاعدة الذهبية

أكمل حازم:

– إذا أردت أن تخفي شيئا، فأخفه في مكان تم تفتيشه

كان الثلاثة يتكلمون بطريقة سريعة.. يبدأ أحدهم عبارته بمجرد انتهاء الآخر، فتبدو الجملة واحدة متصلة.

قال جلال:

– أرجو أن تدعهم يقومون بأعمالهم يا سيد شاكر، وأن تركز معي. فأنا أريد أن أسألك عن بعض الأشياء.

وعلى الرغم من مظهر شاكر الهادئ، إلا أن عقله كان منطلقا كالصاروخ.. ما السر وراء هذه الزيارة؟ هل هي زيارة عادية لإكمال التحقيق؟ أم أنهم قد عرفوا؟ هل..

قطع تفكيره صوت جلال:

– إن السيد عدنان كان في غاية الذكاء والمكر. يمكن القول إنه كان من أفضل ذوي المعاطف البنية في العالم. أراهن أن المسكين صاحب شركة المجد لم يلحظ أي شيء، فقط استيقظ ليجد نفسه في الشارع. لذلك لا عجب أن شركة زيوس استعانت به ليكون أحد مستشاريها، بل كبير مستشاريها و..

ابتسم شاكر ساخرا، ولكنها ابتسامة لم يظهر لها أي أثر على وجهه.. إنه يعلم ما يفعله جلال جيدا، إنها إحدى تقنيات القراءة الباردة Cold Reading تسمى حيلة قوس قزح Rainbow Ruseحيث يقوم بذكر المعلومات التي يعرفها ببطء وثقة، توحي للمستمع أنه يعرف أكثر، ثم يبدأ في ذكر معلومات

تخمينية، معتمدا على حركات جسده. يظن أنه ساذج لهذه الدرجة.. هيا يا جلال، أنت أفضل من هذا.

ولكنه فوجئ بجلال يصمت، وحامد يكمل من خلفه:

- الحقيقة أن السيد عدنان قد أثبت أن ثقة الشركة كانت في محلها، عندما اكتشف أحد ذوي المعاطف البنية في الشركة، وكان سيبلغ عنه، ولكنه قتل قبل أن يفعلها

صمت لحظة ليتأكد من ترك كلماته لأثرها المطلوب، ثم أكمل:

- ولكن السيد عدنان كان قد أعد كل شيء على وحدة تخزين، أحضرها له مساعده قبل وفاته. ولقد وجدناها في غرفته، ولكنها كانت مشفرة بنوع خاص جدا من التشفير الثلاثي، الذي يستحيل حله

هل هذه بسمة ارتياح التي برقت لجزء من الثانية، أم أن حامد يتوهم؟.. صمت حامد عندما قال حازم:

- أريدك أن تفتح هذه الخزنة

ارتبك شاكر للحظة بسبب التغير، ولكنه سيطر على انفعالاته، ونهض متجها نحو الخزنة الالكترونية الموضوعة في ركن الغرفة، ثم فرد كفه ووضعها على سطح الخزنة، فومضت لحظات، تم خلالها التحقق من هويته بأكثر من عشرة طرق، ثم انفتحت الخزنة، فأكمل جلال:

- ولكن الدكتور حازم قهر المستحيل، ونجح في فك الشفرة، فخمن ماذا وجدنا؟

اهتز جسد شاكر اهتزازة خفيفة، دامت أيضا لجزء من الثانية، ولكن جلال لاحظها.. إنه على الطريق الصحيح. ألغى عمل العدسة، واستدار ببطء مكملا

- أنت يا سيد شاكر.. أنت ذو المعطف البني الذي كان السيد عدنان سيبلغ عنه

وتوقف عن الكلام لحظة ثم أكمل:

- ولكنك عرفت، فجئت، وقتلته قبل أن يفعل

رد شاكر شاحذا قوته كلها ليبدو هادئا:

- هراء.. كل ما تقوله مجرد هراء. إنني أحد المدراء التنفيذيين، وأمامي مستقبل كبير في الشركة، فلماذا أضيعه و..

قاطعه صوت حازم:

- ما هذا؟

تطلع الجميع إليه، فمد يده بقلم داخل الخزانة، ثم أخرجها وهو يحمل قلادة فضية، لها قلب يشبه المخلب، مجوف من الداخل، وله غطاء متحرك على طرف القلم. ثم وضعها داخل مكعب زجاجي متصل بجهاز خاص.

عرف شاكر القلادة على الفور إنها... ولكن كيف وصلت إلى هنا؟ إنها..

قال حامد:

– قلادة جميلة يا سيد شاكر

اللعنة.. إنهم لا يتركون له فرصة لالتقاط أنفاسه حتى.. قال بضيق:

– هذه القلادة ليست ملكي. أنا لا أعرف عنها أي شيء

رد حامد في سخرية:

– حقا لقد وجدناها داخل خزانتك الخاصة

أكمل جلال:

– التي لا يستطيع أحد غيرك فتحها

سارع شاكر قائلا:

– ربما...

قطع كلامه، عندما أطلق الجهاز الموجود مع حازم صفيرا متقطعا، وقال حازم:

– لقد انتهي التحليل.. هناك أثار ضئيلة جدا لسم المنيفريد داخل قلب القلادة، كما أن بصماتك يا سيد شاكر موجودة على القلادة

انفجر بركان من الانفعال داخل شاكر، وراح يلقى بالحيرة والارتباك والتوتر، ولكنه بذل جهدا خرافيا ليبقيه داخله ويبقي مظهره الخارجي هادئا. ما الذي يحدث؟ عشرات الاحتمالات تركض مسرعة داخل رأسه؟ هل هذه خدعة أخرى يديروها عليه؟ أم هناك من يحاول تلفيق الأمر له؟ أم هل تمت خيانته؟ أم ...

قال جلال:

- إننا نتهمك رسميا بقتل السيد عدنان مع سبق الإصرار والترصد

هل يمكن أن يكون عزام قد خانه؟ إن هذه قلادته.. أم أن.. أم أن هناك شخص آخر يحاول تلفيق الأمر له؟ اللعنة! إنهم يتناوبون عليه بمنتهى السرعة دون منحه ثانية واحدة ليستوعب الأمر ويرتب أوراقه. انتبه إلى عبارة جلال، فصاح:

- أنا لم أفعل شيئا

أهي خدعة لجعله يقول ما يعرف؟ لو كانوا فتحوا الملف لوصلوا لاسم عزام أيضا.. ماذا لو..

قال حامد:

- يمكنك أن تقسم كما تشاء في المحكمة

ابتسم جلال.. إنه لم يقسم، ولكن حامد ينفذ ما يحفظه بدون تفكير. ولكن شاكر لم ينتبه له مع طوفان الأفكار الذي يغرق رأسه.. ماذا لو أن عزام وصل للملف أولا، ثم حذف اسمه؟ ولكن كيف وصلت القلادة إلى الخزنة؟ ربما غافله...

قاطعه صوت جلال ثانية:

- انتهت القضية

ماذا لو؟ هل يمكن؟ إنه.. ماذا؟ كيف...

نهض جلال واتجه نحو الباب، الذي انفتح ليدخل منه رجلان في ثياب وخوذات سوداء تغطي أجسادهم بالكامل، ثم اتجه حامد نحو شاكر، الذي بدأ الذعر يرتسم على وجهه. الأمر يبدو حقيقيا!.. إنه..

خرج الصوت المعدني الغليظ من إحدى الخوذتين

– سيد شاكر أنت رهن الاعتقال بتهمة قتل السيد عدنان مع سبق الإصرار والترصد

ه..ك...م..ن..ثم لم يحتمل، فانفجر صائحا:

– أنا لم أقتله.. أقسم لكم

رد حامد:

– يمكنك أن تقسم كما تشاء في المحكمة

ابتسم جلال.. الآن هو وقت العبارة الصحيح. قال:

– الأدلة كلها تقول عكس ما تقول

صرخ شاكر

– أية أدلة؟ لقد تم العبث بها

متصنعا الدهشة قال جلال:

– ماذا؟

وكأنما ألقي إليه طوق نجاة، قال شاكر في لهفة:

- أنا لم أكن ذا المعطف البني الوحيد في الشركة

رد جلال:

- يبدو أن لديك الكثير لتخبرني به

وقبل حتى أن ينهي عبارته، كان شاكر يقول:

- سأخبرك بكل ما تريد

أشار جلال للرجلين فغادرا. ثم جلس على أحد المقاعد، وأشار لشاكر فجلس على مقعد مقابل، بينما أخرج حامد علبة عصير وضعها أمام شاكر قائلا :

- تفضل، لكي تساعدك على الهدوء

مضت دقيقة من الصمت، ولوحة المرارة والخسارة مرتسمة على وجه شاكر، بينما ابتسامة ظافرة تتألق فوق وجه جلال.. لو كنت أنت قاتلاً بالفطرة، فأنا صياد بالفطرة.

قطع جلال الصمت قائلا:

- لن تكون هناك أسئلة. أنت ستخبرنا بكل ما لديك بدون أن نسأل

زفر شاكر في قوة..

- الحقيقة أنني لم أكن ذا المعطف البني الوحيد في الشركة. لقد اتصلت بي شركة ايمرس وعرضت عليّ الأمر، ولكنني لم أكن أملك وصولا إلى كل المعلومات المطلوبة، لذلك أقنعت عزام أن يعمل معي

ونقتسم المال سويا. ولكن عدنان كشف الأمر، فاتصل بعزام وأخبره أن يقابله هنا

صمت لحظة، ثم أكمل بلهجة تقطر مقتا:

- لقد كان وغدا لعينا، لم يرد أبدا فضحنا كما كنت تظن؛ كل ما أراده هو المال. لقد أخبر عزام أنه كشف الأمر، ولو لم نمنحه أربعون في المائة من المبلغ الذي ستدفعه ايمرس، فإنه سيفسد الأمر ويفضحنا.. منح علام فرصة للتفكير حتى يحضر مساعده وحدات تخزين المعلومات، فساعتها إما سيعطيها له أو سيتصل بالشركة ويرسلها إليها.

- اتصل بي عزام وأخبرني بالأمر، فجن جنوني، وأقسمت ألا أمنحه أي شيء.. وعندما سألني عزام كيف، أخبرته أننا سنستخدم ولده منير

صمت لحظة التقط خلالها علبة العصير ورشف منها، ليطفئ النار المشتعلة داخل، متطلعا إليهم، منتظرا أي تعليق، ولكن لم يتكلم أحد، فأكمل:

- إنني أكره عدنان منذ زمن طويل كما أخبرتكم، لذلك فقد كنت أراقب ولده منير، عالما انه سيأتي يوم أستخدمه ضده. منير كانت لديه مشاكل عديدة بسبب القمار و..

قاطعه حامد قائلا:

- قمار! إن عقوبته مغلظة منذ عام..

قطع جملته غارقا في الإحراج، عندما رماه شاكر بنظرة ساخرة تعني هل تعيش في كوكب آخر، الناس تلعب القمار طوال الوقت.

أكمل شاكر:

- لم يكن منير سيء الحظ فحسب؛ لقد كان ملعونا يخسر طوال الوقت، ولكن هذا لم يزده إلا شراهة للعب. لجأ إلى التزوير والاحتيال أكثر من مرة، ولدي أدلة على ذلك، ولكن الديون حاصرته، وكاد أن يدخل السجن بسبب الشيكات التي حررها على نفسه، ولكن والده تدخل في اللحظة الأخيرة، ودفع كل ديونه، وأخفي الأمر.

- ولكنني علمت أن منير عاد للعب ثانية، وأن الديون تراكمت عليه ثانية، فقمت أنا بشراء شيكاته هذه المرة، وذهبت إلى عدنان، وهددته أنه إذا لم يتراجع فإنني سأسجن ابنه، وأريته الشيكات وأخبرته بالأدلة التي أعرفها، فجن جنونه وظل يصيح لبعض الوقت، ولكنه في النهاية وافق على التراجع مقابل الشيكات وصمتي عما أعرف، وخمسة عشر بالمائة من المال

سأله حامد:

- وأين هذه الشيكات؟ لم نجدها في غرفة عدنان

رد شاكر:

- لقد أعطيتها له ولا أعرف مكانها

استحثه حامد:

– وماذا بعد؟

قال:

– لا شيء.. لقد تركته، وفي الصباح علمت بوفاته. هذا هو كل ما حدث

سأله جلال:

– كيف حصلت على الشيكات؟

رد شاكر:

– من أحد أصدقاء منير. كنت قد كلفته بمراقبته، فأحضر لي الشيكات وأعطيته المال

سأله مجددا:

– ومن هو الدائن؟

قال:

– لا أعرف.. لقد كانت مكتوبة لحامله

قال حامد:

– ما اسم صديق منير الذي أحضرها لك؟

قال شاكر:

– زكريا عبد الرازق

سأله جلال:

- أين قابلته؟

رد:

- لقد كان يتصل بي دائما، ليخبرني بأخبار منير، فأخبرته أنني سأشتري شيكات منير فأحضرها إلى منزلي الشهر الماضي

فكر جلال للحظات، ثم قال:

- إنهم يلعبون القمار هنا

همس حامد:

- قتل وقمار.. إنها فعلا مدينة الخطيئة

صفق جلال بيده، فدخل جنديان اقتادا شاكر إلى الخارج، فابتسم حامد قائلا:

- لقد انطلت عليه الخدعة تماما

قال جلال

- عندما تطلب من الكمبيوتر أداء الكثير من العمليات في الوقت نفسه، فإنه يتوقف بسبب التحميل الزائد، وهذا ما فعلناه مع شاكر.. أرهقته عشرات الاحتمالات، وتناوبنا عليه بمنتهى السرعة، بالإضافة إلى محاولته المستمرة للسيطرة على انفعالاته وإبقائها داخله. لقد تحول ذكاءه الشديد من نقطة قوته لنقطة ضعفه

ضرب حامد المنضدة بقبضته وهو يبتسم قائلا:

- لقد أعجبني أسلوب جهاز كشف الكذب هذا؛ يجب أن نستخدمه كثيرا. ولكن لماذا اخترعت قصة القلادة؟ لماذا لم نواجه شاكر بما نعرف مباشرة؟

رد جلال وهو يضحك:

- لأننا لم ننجح في فك شفرة الملف، وبالتالي فكل ما لدينا هو كلام مرسل بلا دليل واحد، وسيظل شاكر ينكر ويجادل دون فائدة.. أما عندما أخفناه بأنه سيتهم بالجريمة، وسددنا عليه كل الطرق، انهار وأخبرنا بما لديه

قال حامد:

- لقد قام حازم بدوره ببراعة، عندما وضع القلادة داخل الخزانة، ثم تظاهر أنه وجدها

وصمت لحظة قبل أن يكمل:

- والآن نواجه منال وابنها ؟

هز جلال رأسه نافيا، فسأله:

- نواجه صبحي ومحمود؟

هز جلال رأسه موافقا..

- نعم.. فلقد حان الوقت لكتابة الفصل الأخير

# ١٤

قال حامد:

– إننا نعرف كل شيء، لذلك من الأفضل أن تبدءا الحديث

ابتسم جلال لتناقض العبارة.. إن حامد لا يتعلم أبدا. تبادل صبحي نظرة مع محمود قبل أن يقول محمود:

– إذا كنت تعرف كل شيء، فلماذا تريدني أن أتحدث؟

شعر حامد بالغباء فاحمر وجهه، بينما قال جلال:

– أين قاعة القمار؟

بانزعاج صاح المدير:

– ماذا!.. لا يوجد لدينا قاعات قمار. إننا نلتزم بالقانون الذي..

قاطعه جلال قائلا:

– إنها لا تخص المدينة. إنها تخص مجموعة من الشباب تسللوا من تحت أنوفكم، وأقاموا قاعة للقمار داخل المدينة، يذهبون إليها باستمرار، وكان يمكن أن يستمر الأمر كذلك، لولا أن تطور الأمر إلى عنف بين اللاعبين. ولكنك أخبرت الدكتورة أيتن أن تخفي ذلك عني.. أليس كذلك؟

لم يجب صبحي، ولكن الإجابة ارتسمت على وجهه، فأكمل جلال:

– ولكن الأمر أبعد من ذلك.. أبعد من مجرد مجموعة من الشباب الطائش يفسدون حلمك وحلم شركتك بإنشاء المدينة الفاضلة، التي تكون النور للعالم وسط الظلام.. الأمر يخصك أنت

ومع نظرة الفزع المرتسمة على وجه صبحي واهتزاز جسده، تأكد جلال أنه على الطريق الصحيح، فأكمل:

– إنه يتعلق بابنك.. لقد كان أحد المقامرين.. لا، انتظر لحظة.. لقد كان هو صاحب الفكرة، وتورط أيضا في جرائم عنف، لذلك أدركت أن الأمر لو كشف سيحطم كل شيء. ستدخل السجن لأن أحدا لن يصدق أن القمار كان بدون علمك، وسيدخل ابنك السجن، وسيعرف العالم كله أنها مدينة الخطيئة بالفعل..

– لقد حاولت استيعاب الأمر، ولكن قتل عدنان جاء ليفسد كل شيء، فتحركت بسرعة.. قابلت منال وابنها، وطلبت منهما إخفاء موضوع القمار، فرحبا بذلك لأنه يبعد الشبهات عن منير، ثم قمت بحذف جزء زيارتهما لعدنان من الشريط، واخترعا هما قصة الفتاة التي يحبها منير.

– والآن، أين قاعة القمار؟

لم يجب صبحي، بينما قال محمود:

– إذا كنت تعرف كل شيء كما تقول، فلماذا تريد معرفة مكان القاعة بهذه الشدة؟

قال جلال:

– لقد ظل المقامرون يذهبون إلى هذه القاعة لفترة طويلة دون أن تكشفوهم، فلابد أن هذه القاعة موجودة في مكان سري، مكان خارج الخرائط، وهذا يجعلها المكان الوحيد الذي لن يذهب إليه فريق التفتيش، مما يجعلها المكان المثالي لإخفاء الأشياء

لم يجب صبحي، فقال حامد:

– أخبره يا محمود ماذا سنفعل لو لم يتحدث الآن؟ أخبره أننا سنستدعي مزيدا من القوات، وسنقلب المدينة كلها رأسا على عقب، وسنجلب الإعلام أيضا إلى هنا، ليغطي تستر الأمن على قاعات القمار وجرائم العنف وحتى جرائم القتل. ومن يدري، ربما ليس هذا القتيل الوحيد.. ربما لدينا آخرون، وربما لدينا قاتل متسلسل هنا

وصمت لحظة، أخرج خلالها جهاز اتصاله، ثم قال:

– هل ستبدأ بالحديث، أم أبدأ اتصالاتي؟

نظر صبحي نحو محمود يسأله المشورة، فقال حامد

لا يمكنه مساعدتك، فلا يوجد شيء لإخفائه هذه المرة.

أشاح محمود بوجهه الذي ملأه اليأس بعيدا، فقال صبحي في مرارة:

– إنها إحدى الغرف من أنقاض المدينة القديمة. نجح الشباب في فتح باب صغير في إحدى غرف التخزين القديمة غير المستخدمة يؤدي إليها، يتزعمهم ابني فريد. لقد حاولت جاهدا إخفاء الأمر، ولكنك...

صمت لحظة ابتلع خلالها مرارته، ثم أكمل:

– سآخذك إليها كما تريد

## ١٥

وقف جلال وحامد بجوار الباب، بينما حازم وباقي الفريق يمزقون الغرفة تمزيقا

استفهم حامد:

– ماذا تتوقع أن تجد؟

رد جلال بهدوء

– انتظر وسترى

خيم الصمت لدقائق، حتى اقترب حازم منهما قائلا:

– الأمر كما توقعت بالضبط يا جلال؛ لقد وجدنا آثار لقطرات ضئيلة من السم على أرض الغرفة، كما وجدنا وحدة تخزين من النوع أوكس١٢٣ تحتوي على الشيكات، وعليها جزء صغير من بصمة، قام الكمبيوتر بتحليلها..

قاطعه جلال:

– بصمة منير

رد حازم:

– بالضبط

قال حامد:

- اللعين قتل والده!

سأل جلال حازم:

- هل وجدت شيئا آخر؟

هز حازم رأسه نافيا، فقال جلال:

- كل شيء أصبح واضحا، ولكن الذي يحيرني هو كيف وضع القاتل السم في الطعام؟

خيم الصمت لدقائق أخرى، حتى انتابت حازم نوبة سعال، فغطى وجهه بمنديله للحظات، ثم أخرج علبتين صغيرتين، وأخرج قرصا من كل واحدة، تناولهما معا قائلا:

- الجمع بينهما يجعلهما أطول تأثيرا وأكثر....

قاطعه جلال وعيناه ممتلئتان حماسة:

- استدع منير إلى غرفة التحقيق

## ١٦

وقف جلال بجوار الباب، يتطلع إلي منير الجالس على أحد المقاعد، بينما جلس حامد على المقعد الآخر، يتطلع إليه . بادره قائلا -كالعادة- :

- إننا نعرف كل شيء، لذلك من الأفضل أن تبدأ بالحديث

ابتسم جلال.. هذه العبارة لا تصبح قديمة أبدا. ارتبك منير قائلا:

- لقد أخبرتك بكل شيء منذ المرة الأولى

قال حامد:

- لقد كذبت و...

قاطعه جلال قائلا:

- سأخبرك أنا بكل ما حدث يا سيد منير. لقد استدعاك والدك إلى غرفته الليلة الماضية، وأخبرك أنه يعلم بشأن ديونك الجديدة، وأراك وحدة التخزين التي تحتوي على الشيكات التي قمت بتوقيعها.. لقد عنفك بشدة، وأخبرك أنه قد سئم منك ومما تفعله..

انتظر لحظة راقب خلالها جسد منير، ثم أكمل:

- لقد أخبرك أنه قد سئم منك، وأنه لن ينتظر شخصا آخر ليسجنك، وسيقوم هو بتسليمك للشرطة، ليستريح من المتاعب التي تسببها له.. ثم طردك من الحجرة

بتوتر قال منير:

- هذا لم يحدث

ولكن جلال تجاهله مكملا:

- فهرعت إلى حجرة والدتك، وأخبرتها بما حدث، فأسرعت إلى حجرة والدك، ولكنه عنفها هي الأخرى، وأخبرها أنه لن يتراجع عن موقفه.. لقد كان مشتعلا بسبب الصفقة التي جعلته يخسرها و...

وقطع حديثه تألق ساعة حامد، والتي رفعها حامد إلى فمه وتحدث للحظات، ثم خفضها واقترب من جلال قائلا:

- السيدة منال تريد التحدث إليك.. تقول إن الأمر هام جدا

رد جلال في الحال:

- أدخلها هنا

تساءل حامد بدهشة:

- هنا! الآن؟!

رد بحزم:

- نعم

تحدث حامد في ساعته للحظات، فانفتح الباب ودخلت منال، فأشار حامد بجوار منير، فظهر مقعد آخر..

– تفضلي يا سيدة منال

جلست منال على المقعد، فبادرها جلال:

– ما هو الأمر الهام الذي تريدين إخباري به؟

نظرت منال نحو منير، ثم أمسكت يده قائلة

– أنا آسفة

ثم التفتت نحو جلال قائلة:

– أنا من قتلت عدنان

بدهشة صاح حامد:

– ماذا؟!

قالت:

–لقد حاولت كثيرا، ولكنني أدركت قي النهاية أنني أخدع نفسي، وأن عدنان لن يعود إليّ. إنه لا يحبني، يبقيني بجواره كما يبقي المرء أغراضه القديمة، التي يعرف أنه لن يستخدمها ثانية ولكنه لا يستطيع التفريط فيها، وفي النهاية أيضا يريد أن يزج بابني في السجن. لقد كانت تلك هي الضربة القاضية لي، فقررت أن أقتله.

- سرقت وحدة التخزين وأعطيتها لمنير ليقوم بالتخلص منها، ثم وضعت له السم في الطعام. لقد كان خنزيرا، وأن سعيدة بالتخلص منه

سألها حامد:

- وكيف وضعتِ السم له؟

قالت:

- لقد رشوت إحدى العاملات في المطبخ، وجعلتها تضع السم له في الطعام

قال حامد:

- ولكننا لدينا تسجيل للمطبخ. لم تقم أية عاملة بوضع السم في الطعام

بهتت منال وارتبكت للحظات، ثم قالت:

- لقد وضعت السم بطريقة أخرى.. لن أخبركم بها.. أكره تلك العاملة وكنت أريد أن أجرها، فقد كان يغازلها.

قال جلال برفق:

- عرض جيد يا سيدة منال ولكن أرجو أن تدعني أكمل عرضي

احمر وجهها، بينما التفت هو نحو منير قائلا:

– الواقع يا سيد منير أنك تكره والدك، وتخطط لقتله منذ زمن، ولكنك لم تملك الجرأة اللازمة للتنفيذ. ولكن عندما عادت والدتك وأخبرتك أن والدك مصمم على تسليمك للشرطة

قاطعه منير بثبات أقوى من أمه:

– هراء.. لقد كنت أحب والدي، ولم أكن لأؤذيه أبدا

قالت منال:

– منير لم يفعل شيئا لقد أخبرتك الحقيقة

استطرد جلال كأن لم يسمعها:

– ولكن على الأرجح لم يكن ليفعلها.. كان غاضبا بسبب الصفقة التي خسرها، ولكنك اتخذت قرارك وأصدرت حكم الإعدام. لذلك، عدت إليه ثانية، متظاهرا بالأسف والندم، وأنك لن تفعل شيئا يغضبه ثانية، ثم قمت بحقنه بسم المنيفريد المخلوط مع محلول الانتمكاون، باستخدام إبرة دقيقة أخفيتها في يدك. ربما تظاهرت أنك تضمه أو أي شيء، ولكن لمسة واحدة كانت كفيلة لتدفع المخلوط في دمائه

صاحت منال:

– كفى خيالا

أضاف جلال:

– وهنا نأتي للجزء الممتع في الأمر فخلط سم المنيفريد المخلوط مع محلول الانتمكاون المخدر يبطئ من عمل السم، ويجعله يستغرق وقتا أطول بساعتين، حتى يبدأ العمل. كما أن محلول الانتمكاون هو

مخدر قصير المفعول، يدوم عمله لنصف ساعة فقط، وتتلاشى آثاره من الجسد نهائيا بعد ساعتين، لذلك لم نجد له أي أثر في جسده. غرق والدك في النوم، فسرقت وحدة التخزين وخرجت.

ولكن وحدة التخزين كانت من النوع أوكس١٢٣، وتحتاج لكلمة مرور لتدخل وتقوم بحذف البيانات. كما أن أية محاولة لتحطيمها ستفعّل الإنذار، فتفضح سرقتك، لذلك لم يكن أمامك سوى إخفاءها في غرفة القمار، لأنك تعرف أنها المكان الذي لن يقوم أحد بتفتيشه

حاولت منال أن تقول أي شيء، ولكن الكلمات ذابت على شفتيها بينما أكمل جلال:

– ثم بقيت في غرفتك حتى سمعت صراخ العاملة، فكنت أول من ذهب إلى هناك، وقمت بإضافة قطرات من سم المنيفريد إلى طبق الحساء، حيث إن السيد عدنان لا يحب أن يزعجه أحد بعد العشاء، فلا يتم رفع طعام العشاء إلا في الصباح.

لقد كانت خطة عبقرية، ولكنك نسيت شيئا واحدا

لم يتكلم منير، فقال حامد:

– لا أحد يهرب

انهارت منال، وصمت منير للحظات ثم قال

– كان يجب أن يذهب

## ١٧

مستشفي المدينة

دخل الدكتور حازم إلى المستشفى، حيث كانت الدكتورة أيتن منهمكة في بعض الأعمال، فلما رأته أسرعت نحوه، فاستقبلها قائلا

- كيف حالك يا عزيزتي؟

ابتسمت قائلة:

- في أحسن حال طالما أنك بجواري

قال حازم:

- لقد انتهى كل شيء، وسنكون معا دائما

احتضنت أيتن أصابعه قائلة:

- لقد نال ما يستحق

سألها حازم:

- أين هو؟

- إنه في الداخل، يتم إعداده لتنفيذ وصيته

- خذيني إليه

قادته أيتن نحو غرفة في الداخل، تحتوي على منضدة عليها تابوت مغلق، فقال حازم:

- اتركينا بمفردنا

ترددت أيتن للحظات، ثم غادرت المكان، فلمس حازم عدة نقاط في جوانب التابوت، فتلاشي التابوت تاركا جثة عدنان ترقد على المنضدة، يرتدي بذلة كاملة، فأخرج حازم محقنا من جيبه، ثم دفعه في أحد أوردة عدنان قائلا:

- ها نحن نلتقي ثانية يا سيد عدنان

بدأ عدنان يفيق، ولكن جسده كان مشلولا تماما، وعقله مشوشا، يستطيع استيعاب ما حوله، ولكنه لا يستطيع التفاعل معه.

قال حازم:

- لا تجهد نفسك بالمحاولة يا سيد عدنان، فجسدك مشلول تماما، ولن يتحرك مهما فعلت. أقول ها نحن نلتقي ثانية يا سيد عدنان، فهل تذكر أول مرة تلاقينا فيها؟

وصمت للحظات، ثم مال نحو عدنان، حتى شعر عدنان بأنفاسه على وجهه، ثم قال:

- انظر إلى نفسك.. لا حول لك ولا قوة، تفكر ماذا سأفعل بك. أحب أن أطمئنك، لن تستطيع أن تخمن. هل تذكر المرة السابقة؟ كانت في مستشفى أيضا. هل تذكر صاحب شركة المجد، الذي ائتمنك فخنته وبعته وقبضت الثمن؟ لقد أتيت لتزوره في

المستشفى، بعد أن أصيب بأزمة قلبية. نعم تفكيرك صحيح.. أنا حازم ابنه، هل تذكر ما قلته لي يومها؟ هل تذكر؟

اعتدل حازم، وجلس على مقعد بجواره مكملا:

– يومها أقسمت أن أريك العذاب الذي لا يقوى بشر على احتماله.. أن أجعل الموت أمنيتك الوحيدة، ولا تحققها

نهض من مقعده، ومسح يده فظهرت شاشة صغيرة في يده. وضعها أمام وجه عدنان قائلا:

– بينما نحن نتحدث الآن، فإن ابنك منير تتم محاكمته بجريمة قتلك

كانت الشاشة تعرض مشهدا لمنير، من داخل قاعة المحكمة، ثم لمسها حازم فتغير المشهد، وظهرت صورة منال وهي ملقاة على الأرض وبركة دماء متكونة بجوار رأسها. قال حازم:

– زوجتك المسكينة لم تحتمل فقتلت نفسها.. يا لها من بائسة، خطأها الوحيد أنها تزوجت وغدا مثلك

ثم خفض الشاشة، ومسح يديه، فاختفت. ثم جلس على المقعد ثانية مكملا:

– والآن، بعد انتهاء القضية، يتم الإعداد لتنفيذ وصيتك. لا تندهش هكذا.. أعرف أنك لم تعد واحدة، لأن وغدا مثلك لا يعتقد أنه سيموت، ولكنني قد أعددتها، لأنني أعرف أنك ستموت. تريدني أن أقراها لك؟.. حسنا

حرك يديه، فظهرت شاشة صغيرة بينهما، تطلع إليها للحظات، ثم قال:

– أنا عدنان الخ الخ الخ... كامل ثروتي تذهب إلى سلسلة مؤسسات الفتح الخيرية..

ضحك متهكما قبل أن يتابع:

– مالك مندهشا هكذا؟ أنا لست لصا يا سيدي، لا آخذ أبدا ما ليس لي. والآن دعني أكمل لك الوصية.. الخ الخ الخ.. هذا هو الجزء الممتع، وأوصي بعد موتي أن يتم وضع جسدي في تابوت النتازون، ويطلق في المحيط، لأظل أجوب المياه إلى الأبد. هل أعجبتك؟ لا تنكر أنها جيدة

ثم نهض، وأخذ يعبث بيديه في وجه عدنان لثوان، ثم قال:

– لقد قمت بتعديل التابوت، وإضافة أجهزة إعاشة للحفاظ على حياتك داخل التابوت، بحيث تظل تدور وتدور في المحيط بلا أمل، ولا تقلق من انقطاع الطاقة، فقد أضفت بطارية نووية للتابوت

جلس على المقعد ثانية، وصمت للحظات، ثم قال:

– أعرف أنك تتمزق تحترق تـــ.. ابحث أنت عن الكلمة المناسبة.. المهم، كل هذا لتعرف كيف وصلنا إلى هذه اللحظة.. اطمئن، سأخبرك بكل شيء، ولكن في البداية يجب أن تعرف أنني لم أفعل كل هذا بمفردي. هناك شخص آخر ساعدني.. إنها زوجتي، نعم أنت تعرفها.. إنها الدكتورة أيتن.. أعرف أنني أحسنت الاختيار

نهض من مقعده، وقفز فوق المنضدة، ووضع قدميه على جانبي جسد عدنان، وجلس فوقه ثم مال نحوه

-إنني أرتب لهذا الأمر منذ زمن. أرسلت ايتن للعمل في المدينة، ثم التحقت بالعمل في الشرطة، وكنت أنت تأتي إلى هنا دائما، متصورا أنها يمكن أن تنظر إلى وغد مثلك؛ ولكن ما لم تعرفه، أنها كانت تحقنك بالعقاقير المختلفة، وتستخدم معك التنويم المغناطيسي، حتى سيطرت عليك تماما، وعرفت كل أسرارك القذرة. نفس الأمر وأكثر فعلته مع منير.. هل تعرف أنها من زرعت في رأسه فكرة قتلك؟ بل وأوحت إليه أيضا بالطريقة دون أن يشعر. لا تظن أن أحمقا مثل أبنك يمكن أن يفكر في هذه الطريقة المبتكرة

- لقد قامت أيتن بحقنك بمزيج من العقاقير في ذلك اليوم، حقنتك بعقار شامنوك، الذي يغلق مستقبلات سم المنيفريد في الجسد، وبذلك يدخل السم جسدك، ولكنه لا يوثر مع عقار باركونيز، الذي وضعك في حالة من الغيبوبة، مع تصلب في الجسد، وضعف شديد جدا في كل العمليات الحيوية. باختصار، حالة لا يمكن تفرقتها عن الوفاة مع عقار قعنمار، الذي يفسد أي اختبار للكشف عن العقارين السابقين في جسدك، وبذلك لن يظهر التحليل سوى السم في جسدك.

- إن علم العقاقير هذا علم ممتع جدا، ومن يملك مفاتيحه يمكنه أن يفعل الكثير.. كانت هي أيضا من أعلن وفاتك.. هذا الوضع يؤلم ظهري

اعتدل، وقفز من مكانه، ثم جلس على المقعد ثانية..

- ثم جئت أنا مع فريق التحقيق، وأكدت كل المعلومات التي ذكرها، ثم رحت أوجه التحقيق كما أريد

***

عدنان عز الدين ٥٦ عاما أحد ذوي المعاطف البنية..

سعل حازم فصمت جلال للحظات

***

قال حامد:

- أحد ذوي المعاطف البنية ما هذا؟

سعل حازم ثانية بينما قال جلال:

- يبدو أنك تعيش في كوكب آخر كيف لا تعرف ذوي المعاطف البنية؟

سعل حازم للمرة الثالثة، فقال جلال:

يبدو أن سيرة ذوي المعاطف البنية تصيبك بالسعال

***

- لقد أخبرني حازم أن لديهم أفضل مستشفى في العالم، حتى أنه لو تم تمزيق إنسان بالكامل، فإنهم قادرون على علاجه

***

قال حازم

– عزام أيضا يبدو كقاتل بالفطرة، يبدو أنها سمة مميزة للعاملين في زيوس

***

عدنان .. منال .. منير .. شاكر .. عزام .. شاكر .. هناك شيء ما بخصوص هذا الرجل، إنه يبدو...

سعل حازم، فزفر جلال في ضيق.. لقد أخرجه من...

برقت الفكرة في رأس جلال تقاطع ضيقه.. لقد كان الحل قريبا منه منذ البداية، كيف لم يره؟

خيم الصمت لدقائق أخرى، حتى انتابت حازم نوبة سعال، فغطى وجهه بمنديله للحظات، ثم أخرج علبتين صغيرتين، وأخرج قرصا من كل واحدة، تناولهما معا قائلا:

– الجمع بينهما يجعلهما أطول تاثيرا وأكثر ..

قاطعه جلال وعيناه ممتلئتان حماسة:

– استدع منير إلى غرفة التحقيق

***

استأنف حازم:

– الحقيقة أنني من أوحى للرائد جلال أن عزام وشاكر من أصحاب المعاطف البنية، وأنا من أوحى إليه بفكرة القلادة، وأنا من أوحى إليه بفكرة خلط السم مع المخدر لتأخير عمله

والحقيقة أن التلاعب بالرائد جلال كان أصعب جزء في الأمر.. هذا الرجل داهية حقيقية؛ ولكن لديه ثغرة قاتلة. يفترض أنه لا يجب أن يقلق من الآخرين الأقل ذكاء

***

قال حازم:

– لقد أوشكت على هزيمتك هذه المرة

قال جلال:

هذه هي المرة الرابعة التي توشك فيها على هزيمتي أتمنى أن تفعلها مرة من باب التغيير

***

ثم نهض حازم من مقعده قائلا:

– أتعرف؟ كان يمكنني أن أقتلك في أي وقت بأية طريقة، ولكنني فضلت أن تكون هنا، وبهذه الطريقة، وفي هذا الوقت، حتى لا أقتلك فقط، ولكن أيضا لكي أفضح كذبكم وزوركم وتزييفكم للحقائق.. لكي أفضح العفن الذي أكلك أنت وأمثالك من الداخل، فحاولتم إخفاءه بالمظاهر البراقة العظيمة ولكي...

صمت للحظات ثم قال:

- يمكنني أن أظل أكلمك طوال الليل، ولكن هذا بلا فائدة. لقد تم الأمر، فافهمه كما شئت.

والآن يا سيد عدنان.. أمامك رحلة لتلحق بها، وأنا أمامي رحلة مع زوجتي الحبيبة، لذلك سأغادر، حتى لا يعطل أحدنا الآخر

ثم أخرج محقنا آخر، وأفرغه في عروق عدنان، ثم ضغط عدة أزرار في المنضدة، فعاد التابوت حوله كما كان، ثم غادر القاعة.

كانت أيتن واقفة في انتظاره، فاحتضنت يده يدها، ثم غادرا سويا

تمت بحمد الله